الجنرال إتيين كوبيل

قهر الحرب



ترجمة:
المقدم الركن المتقاعد
غسان درويش

مركز الدراسات العسكرية
دمشق ١٩٨٥

قهــر الحرب

جهاز دفاعي آخر ، وجيش آخر

الجنرال ايتين كوبيل

قهر الحرب

جهاز دفاعي آخر، وجيش آخر

ترجمة:
المقدم الركن المتقاعد
غسان درويش

مركز الدراسات العسكرية
دمشق ١٩٨٥ م

Général Copel

V A I N C R E

L A

G U E R R E

Général Copel

VAINCRE LA GUERRE

Une autre défense, une autre armée

Lieu Commun

تقــديــم

يتضمن هــذا الكتاب وجهــة نظر كاتب عسكري فرنسي حــول السيطرة على الحرب النووية وذلــك بالمحافظة على وضع قــائم وثــابت من التوازن النووي يمنــع حدوثها ، وذلك تفادياً للأخطار الجسيمة والهائلة التي ستحل بالعالم (نتيجة للهجوم النووي من قبل قوة عالمية او الرد عليه من قبل قوة عالمية ثانيــة) قد تصل إلى فناء البشرية مع الكائنات الحيــة والنبات من على سطح الارض ولفترة طويلة .

كما يتضمن شرحاً موجزاً عــن الصواريخ النووية المتوفرة حالياً لــدى كل من القوتين العظميين وبريطانيا وفرنسا ، وعن كيفية ايجــاد التوازن النووي الاستراتيجي بينهما (الاتحــاد السوفييتي من جهة والولايات المتحدة الأميركية وحلف الاطلسي من جهــة أخرى) ، مــع ذكر الطرق والوسائط الرئيسية لاطــلاق الصواريخ النوويــة الهجوميــة .

كما نجد وصفاً لنموذج مفترض عن سيناريو أزمة نووية في حالة هجوم سوفييتي على المانيــا الاتحادية مع الأخذ بعين الاعتبار المعطيات العسكرية الحالية لدى المعسكرين الشرقي والغربي .

ويعطي أيضاً لمحة موجزة عن خطر الهجوم التقليدي وخاصة الكيميائي والجرثومي على الانسان مستشهداً بالحروب السابقة بما فيها حرب فيتنام آملين أن تكون فيــه بعض المعلومات المفيدة لضباطنا في القوات المسلحة .

دمشق/كانون الثاني

مركز الدراسات العسكرية

توطئـــة :

لِنكْرَه ....؟

نعـم ... لِنَكْرَه الكراهيــة ، لِنَكرَه العنف ، لِنَكْرَه الحــرب ، ان كل القيم النبيلة المتمثلة في مهنــة السلاح ، منشؤها الكره الشديد ، الذي يجب أن يكنّه أي مسؤول عسكري ضد العنف الحربي ، وبذلك يُحسِن توقعه ومجابهتــه والسيطرة عليه .

لم تجر في التاريخ معركة أعظم من المعركة ضد الحرب .

وحالياً ليس هناك معركة أكثر إلحاحاً .

في السابق كان من الممكن أن نخسر معركة ونربح الحرب ، أما في عصــرنا الحالي فلا يمكن تحمل خسارة معركة نووية ، أو ربحها ، ولا يوجد بديل . يجب أن نقهر الحرب النووية .

يجب قهــر الحرب :

أن نقهر الحرب هو بالدرجة الاولى أن نتنبأ بوقوعها ، وقبــل كل شيء أن نحدد الخصم الاكثر إحتمالاً ، وأن نبحث عن شكل الصراع الذي سيختاره والذي سيمكنه من فرض قوانينه بأقل مجازفة ممكنة .

أن نقهر الحرب ، هو أيضاً أن نجد الوسائل الكفيلة بالتصدي لشكل الصراع المناسب للخصم ، وأن نجد وسائل قتال مجدية دون المجازفة بحياة بلدنا .

وأخيراً ، إن قهر الحرب هو الإقناع ، ليس فقط إقناع الخصم بل أيضاً إقناع رأينا العام ، الاقناع بجدوى هــذه الوسائل ، وبالامكانيات البشــرية والماليــة ، وبوضعها قيد العمل ، والاقناع بضرورة أن نزيل كل أمل لدى الخصم بانتصــار سهل وبالتالي نزع كل رغبة لديه بالهجوم .

في البلاد الديموقراطية يجب أن نُقنع لنتمكن من أن نبدل ونبني •

اليوم أريد أن أُقنع وبشغف ، اذ لم يعد الوقوع بالخطأ جائزاً •

كان من الخطأ تمجيد الهجوم المستميت عام ١٩١٤ ، اذ لم يكن أمام الجنود إلا الموت وهم يواجهون الرشاشات دون حماية ودون دروع ، ومات هؤلاء الجنود ضحية عدم الكفاءة العسكرية •

ومن الخطأ أيضاً تمجيد الدفاع المستميت عام ١٩٣٩ ، فالخطوط الدفاعية الثابتة كخط « ماجينو » كانت دون فائدة أمام سهولة حركة المدرعات • فاجتيحت فرنسا ثم أُهينت نتيجة عدم الكفاءة العسكرية •

خطأ عام ١٩١٤ ثم خطأ عام ١٩٣٩ وفرنسا لا زالت قائمة ، فقد عوّض صفاء ذهن بيتان Pétain حماقة نيفيل Nivelle ، وعوّضت عبقرية ديغول خطأ بيتان •

أما الآن فلا يسمح لفرنسا أن تخطىء ، وكذلك لا يسمح لأوروبا والغرب حتى ولا للعالم أن يخطئوا ، اذ أن أية أمة مهما بلغت قوتها لن تنهض من حرب نووية ، فالخطر كامن هنا وهو مرعب ، وليس من الشجاعة بمكان أن نقلل من قيمة هذا الخطر ، أو نرفض التفكير به بل يجب مواجهته والسيطرة عليه •

اليوم أريد أن أُقنع ، ففرنسا بلدي ، واؤمن بعمق ان عقيدتها العسكرية الحالية قد تجرها الى الكارثة ، فدفاعها يستند أكثر مما ينبغي الى الحرب النووية، وترفض عقيدتها الاعتراف بأن الحرب النووية لا تردع الا الحرب النووية • وترفض القبول ان الحرب النووية لا يمكنها منع هجوم تقليدي ، ولا حتى هجوم نووي • ففرنسا لم تتفهم بعد مسؤوليتها على اعتبارها القوة النووية الوحيدة في القارة الاوروبية ، ولم يتبادر لذهنها انها اذا لم تبدل عقيدتها وجهازها العسكري ، فسيضطر رئيسها يوما ما أن يجد نفسه أمام موقف وحيد لا بديل له : إما فتح النار النووية أو الاستسلام •

إمـا الفنـاء أو العبوديـة •

اليوم أريد أن أقنع، فأوروبا أرض حضارتي وأؤمن بعمق ان نظامها العسكري الحالي قد يجرها الى الكارثة ، فأوروبا تعتمد كثيراً على الولايات المتحدة ، ومـن الظاهر أن فكرها الرسمي يتجاهل أمراً بديهياً ، هو أن أميركا لن تجازف بنيويورك من أجـل بون أو باريس ، ويرفض فكرها الرسمي الاعتراف بـأن حلف الأطلسي سيصبح منظمة ثقيلة جداً ، وبالتالي غير مجدية خاصة اذا وجد نفسه بأزمة حـادة، وبدون ادارة سياسية متجانسة •

أوروبا لا تأخذ بعين الاعتبار امكانياتها البشرية والماليـة التي هي أكثر غنى وأشد اتحاداً مما هي عليه لدى خصومها مجتمعين ، وعلى أوروبا أن تعي قدرتها على الدفاع عن نفسها بنفسها، دون أن يكون ذلك مرتبطاً بالنتيجة المأساوية لمعركة نووية يشنها الآخرون على أرضهـا •

اليوم أريـد أن أقنع ، وبعاطفة صادقة ، ان فرنسا تستطيع ضمن إطار أوروبا أن تشق الطريق وأن تبين ، وفي كافة الظروف ، عدم ضرورة اللجوء الى التهـديد النووي الاميركي والبريطاني والفرنسي ، ويمكنها أن تبرهن أيضاً على إمكانيـة التصدي بنجاح بوسائط تقليدية لهجمات تقليدية ، وبوسائط كيميائية لهجمـات كيميائية •

لذا يجب الأخذ بعين الاعتبار الفعالية للاسلحة الدفاعية الحديثة ، والتخلي عن الصلابة في بنية العقائد الحالية ، وأن تبدل طريقة استخدام الاحتياطيين وأن نطبق شكلا آخر من الخدمة الالزامية •

وعندما تحين ساعة إتخـاذ القرارات الاساسيـة ، ستكون الديموقراطيات الغربية بحاجة لكل صفاء الذهن ولكل العبقرية ، وفي هذا الحال علينا أن نخشى كل مظاهر الضعف العسكري والسياسي ، علينـا أن نخشى الجيوش ذات البنية التي سبقها الزمن والقادة العسكريين ذوي العقليـات القديمة ، كمـا يجب أن نخشى المسؤولين السياسيين المتعالين أو الجبناء ، والرجـال الحديديين المستعدين لاقصى

المجازفات كي يحافظوا على سمعتهم كرجال لا يلينوا مثلما نخشى الرجال الطيبين المستعدين لأقصى التنازلات حتى انتفاضة الكارثة .

يمكننا تجنب حرب نووية ، فما من راغب لها ، لا الغرب يرغبها ولا الشرق، ولكن اذا لم يجرؤ أحد على النظر اليها وجهاً لوجه ، واذا احتمى كل واحد خلف جهله أو خلف عقائد جامدة : « ردود كثيفة ، ردع الضعيف للقوي ، الانذار النهائي ... » .

اذن لا شيء يوقف السقوط نحو الفناء ... وستكون آخر حرب ...، لقد آن وقت التفكير .... وحان وقت العمل .

★ ★ ★

الجزء الأول

ما الذي نخشاه ؟

الفصل الاول

تصاعـد الاخطـار

لم يعد ضرورياً أن نتخيل متى بدأت الدرجات الاولى لسلـّم التصاعد النووي، فقد تم ارتقاؤها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية مما أدى الى هذه التخمة الحـالية من التسلح .

هـل نحدد موقع الدرجة الأولى من هذا السلـّم في « يالطـا » خـلال شهر شباط من عام ١٩٤٥ ؟ أم في صحراء نيومكسيكو بعـد بضعة أسابيع وخلال أول تجربة ذرية أميركية ؟ ليس لذلك أية أهمية اذ ان التاريخين الاساسيين لهذا التصاعد هما ٦ و ٩ آب وسيبقيان محفورين في ذهن البشرية كرمز للهول المطلق .

من يمكنه أن ينسى هيروشيما وناغـازاكي ؟ رغم ان نتائـج بعض القصف الجوي التقليدي كانت أكثر تدميراً (طوكيو ، درسدن) .

وكان تبرير اللجوء الى السلاح الذري هو الخوف من استمرار حرب طويلة ومكلفة في المحيط الهادي ، وانه باسراعنا بانهاء هذه الحرب نكون قد أزلنا شبـح مذبحة جديدة عند كل إنزال بحري على جزر يزداد الدفاع عنها ضراوة يوماً بعـد يوم ، وبذلك تكون قنبلتا هيروشيما وناغازاكي قد وفرتا أرواحاً بشرية .

ولكن كم من الاطفال والنساء والرجال قـد ضُحي بهم ، كـم من الحروق والآلام ! فحالة الحرب لا يمكنها أن تبرر كل شيء .

لو فجـّر «ترومان» قنبلته الذرية العملياتية الأولى تجاه طوكيو وليس فـوق

سمت هيروشيما لرأى المسؤولون اليابانيون أيضاً وبأم أعينهم الـ « ألف شمس »[1] ولشعروا بالموجات تتهدّر ، ولأدركوا بلا شك أن الحرب قد انتهت ، مثلما أدركوا ذلك عندما علموا بواسطة البرقيات هـلاك سكان المدينتين البعيدتين نسبيا عن العاصمة •

لم يتعرض «ترومان» للنقد الا قليلا ، حتى من قبل اليابانيين• ولكن يمكننا أن نأسف على الأقل لعدم الاخذ بالحلول الاكثر انسانية عندما تكون النتائج متساوية•

في الحقيقة ، لا يولّد الهول أي خوف بشكل عام في حالة الحرب حتى فـي الديموقراطيات الاكثر صفاءً ، اذ يكفي أن نفترض أن ذلك الهول ضروريا •

بـدأت الدرجـة الثانية من سلّم التصاعد النـووي وسلّم الخطر بعـد استخدام القنابل الذرية عام ١٩٤٥ ، وكان منشأ ذلك التصاعد هو الشعور بالتطويق الذي كان يقض مضاجع السوفييت ، سواء كان ذلك الشعور مستنداً الى الحقيقة أم لا ، ومما كان يعمّق هذا الشعور بالخوف ، ربما غير المبرر ، هو أن يستفيـد الاميركيون من حصر « القوة النووية » بهم لشن حرب وقائية •

هذا الخوف إضافة الى أممية العقيدة الماركسية دفع السوفييت لاستخـدام كل ما تحويه إتفاقيتي « يالطـا » ، و « بوتسدام » كي يمـدوا سيطرتهم وينمّوا إمبراطوريتهم •

ان التحديد الصلب لمناطق النفوذ الواردة في هاتين الاتفاقيتين سمح للسوفييت وبسهولة أن يسيطروا على كافة دول أوروبا الشرقية مشكلين بذلك ستاراً واقيـاً ذا نوعيـة عاليـة •

---

(١) الألف شمس (mille Soleils) : قوة الانفجار التي تعادل قوة الشمس بمقدار الف مرة . والمقصود بهذا التعبير هو : لو فجر الرئيس الامريكي « ترومـان » قنبلته الذرية تجاه طوكيو بدلا من إلقائهـا على هيروشيما ، لاقتنع المسؤولون اليابانيون بأن لديه سلاحاً رهيباً يستطيع ان ينهي الحرب ولوفر آلاف الضحايا من اليابانيين .

وقد أدّى انشاء هذه السلسلة من الديموقراطيات الشعبية شـرق الاتحـاد السوفييتي بدوره الى خوف عميق لدى الغربيين من الامتداد السوفييتي هـذا ، وبالتالي قاموا بتوقيع معاهدة شمال الاطلسي عام ١٩٤٩ وأنشئت منظمة عسكريـة تابعة لهذه المعاهدة ألا وهي منظمة حلف شمالي الاطلسي (الناتو) •

وقد أدى تضامن الحلفاء ضد أي هجوم محتمل الى وضع أوروبا تحت الحماية الاميركيـة •

وفي العام نفسه أي ١٩٤٩ جرى التفجير النووي السوفييتي الأول الذي ولّد ذهولاً في الغرب اذ لم يكن أحد يتوقع أن يستطيع الاتحاد السوفييتي ردم هـوة تأخره بهذه السرعة •

ورغم قوة هذا الانفعال فانه لم يؤد الى اعادة النظر في قضية التفوق العسكري الاميركي ، فالولايات المتحدة بعيدة جداً عن القواعد الجوية السوفيتية بينما كانت المدن الروسية على مدى قاذفات قنابل « القوة الجوية الاستراتيجية » الموزعة حول حدود روسيا الاوروبية ، وكان التهديد بانتقام مكثّف يحمي أوروبا من كل هجوم سوفييتي ، فالمظلة الأميركية كانت فعالة آنذاك •

ازداد التفوق الغربي قوة عام ١٩٥٢ بتفجير أول قنبـلة حرارية ـ نوويـة أميركية ، وبأول تجربة نووية بريطانية •

وكان بامكان بعض الاميركيين ـ كالجنرال « ماك آرثر » مثلا ـ أن يتوقعوا بطمأنينة نسبية استخدام السلاح النووي ، ولكن لم يـدم ذلك طويـلاً اذ فجّر السوفييت عام ١٩٥٣ قنبلتهم الهيدروجينية الاولى وبـدأوا باقامة صواريخ ذات مدى بعيـد •

واستيقظ العالم فجأة عام ١٩٥٧ على صوت « بيب ـ بيب » الذي يطلقـه السبوتنيك ، أول قمر صناعي أبدعه الانسان ، وأدى ذلك الى صدمة قـوية لكل الغربيين الذين رأوا أنفسهم ولاول مرة وقد تجاوزتهم التقنية السوفييتية ، وكانت

هذه الصدمة موجهة بالدرجة الاولى نحو الاميركيين الذين أصبحوا فجأة معرضين للخطر .

فبما أن السوفييت يستطيعون وضع قمر صناعي على مـدار حول الارض ، إذن باستطاعتهم أيضاً إطلاق صاروخ باليستي على نيويورك ، انه استنتاج مرعب ولا شك ، ومما يزيده رعباً التجارب السوفييتية الناجحة على القنابل الحرارية ـ النووية ذات الاستطاعات الكبيرة جداً (عشرات الميغاطون أي أقوى بأكثر من ألف مرة من قنبلتي هيروشيما وناغازاكي) ، وهكذا أصبحت الولايات المتحدة ، ولأول مرة منذ استقلالها معرضة في أرضها .

هذا الخوف الذي ولّده « السبوتنيك » كان سبباً لأعظم سباق تسلح في تاريخ البشرية .

أراد الاميركيون ، وقد أصبحوا معرضين في أرضهم ، تزويد أنفسهم بكمية كبيرة من الاسلحة ليكونوا واثقين ببقاء كمية كافية من الوسائط النووية غير المدمرة قادرة على أن تلحق بالخصم خسائر جسيمة حتى في حالة هجوم مفاجىء ، وبالتالي تردعه عن الهجوم .

وكي يحتفظوا بقـدرة رد ضاربة فعالة ـ بالدرجـة الثانية حسب التعبير العسكري ـ فقد عمد الأميركيون الى مضاعفة عدد قاذفات قنابلهم الاستراتيجية ذات مدى العمل الكبير ، والى ابقاء عددٍ مناسب من هذه الطائرات المحملة بكافة قنابلها الذرية في الجو بشكل دائم وذلك للتحرر من خطر أي هجوم مفاجىء على مطارات الاقلاع ، وعمدوا أيضاً الى انشاء عدد كبير من الصواريخ الباليستية ذات مدى متوسط ثم صواريخ عابرة للقارات قاموا بوضعها في صوامع (Silo) تتطور حمايتها يوما بعد يوم ، وأخيراً وضعوا الصواريخ الباليستية في غواصـات نووية قادرة على اطـلاق هذه الصواريخ من تحت سطح المـاء كي تكون محمية من أي كشفٍ معـاد .

لم يكن لدى الاميركيين أي نية ببناء أداة هجومية عندما أنشأوا هذه الترسانة

الضخمة وطوروها بشكل دائم ، بل كان همهم فقط التأكد من إمكانية الرد على كل هجوم مهما بلغ عنفه . فنوايا الاميركيين والسوفييت الطيبة ليست مجال مناقشة ، رغم ان السوفييت ساهموا وبنفس الضراوة في سباق التسلح النووي ، ومن الارجح ان السوفييت والاميركيين لم يفكروا الا بالدفاع عن النفس وتأمين سلامة مواطنيهم .

ولكن النتيجة بادية الآن بكل وضوح فكل من هاتين القوتين العظميين قادرة على ابادة خصمها عدة مرات حتى في حال تعرضها لهجوم مفاجىء ، وهذا ما يسمى بالامكانية غير المنطقية بأن نقتل عدة مرات أي « فوق القتل » (Over Kill) كما يسميها البريطانيون .

وما أن أصبح «السبوتنيك» يدور على مداره حتى أخذ بعض الاوروبيين يخشون من رغبة الاميركيين بالتخلص من التزاماتهم تجاه أوروبا ومن أن تثبط عزيمتهم عن استعمال سلاحهم الذري في الدفاع عن أرض غير أرضهم خوفاً من انتقام نووي .

ومن هنا أتت العبارة التي كثيراً ما رُدّدت وهي : « المظلة الاميركية مثقوبة » ولسد ثقوب هذه المظلة ، ولخلق شروط تمكن من ردّ مستقل انطلق البريطانيون والفرنسيون بدورهم في صنع أسلحة نووية إستراتيجية قادرة على الضرب في عمق الاتحاد السوفييتي، ومهدت بريطانيا السبيل الى ذلك بقاذفاتها من طراز في V ، ثم بغواصاتها النووية التي سلحتها بصواريخ اميركية (بولاريس) ذات رؤوس نووية من صنع وطني ، وجهزت فرنسا نفسها بمجموعة أسلحة كاملة : طائرات ميراج ـ ٤ ، وصواريخ أرض ـ أرض في هضبة ألبيون Albion ، وعلى الاخص بغواصات نووية مجهزة بصواريخ .

قام الانكليز بتطوير تسليحهم النووي دون أن يضعوا له عقيدة استخدام محددة ، على العكس من الفرنسيين الذين ورغم التفكير العملي للجنرال ديغول مؤسس القوة الضاربة ، حددوا بسرعة عقيدة ردع مَحْضَة وصَلْبة مبنية على مبدأ الانتقام الكثيف حسب الطريقة الاميركية ، هذا في الوقت الذي تخلت فيه الولايات المتحدة عن هذه العقيدة .

فقد قدر الأميركيون ، وقد أصبحوا معرضين في أرضهم ، انه لم يعد بامكانهم القول بسهولة للروس : « اذا اجتزتم خطاً معيناً فسنحرق مدنكم » لأن هؤلاءأصبح بمقدورهم الآن أن يجيبوا : « لا لن تقوموا بذلك لأنكم تعلمون جيداً اننا سنحرق مدنكم اذا أحرقتم مدننا » • وقد وضعت الاستراتيجية الفرنسية في الوقت نفسه الذي كان فيه الاستراتيجيون السوفييت بشكل خاص يحاولون بكتبهم الوجيزة المعدة للقطعات إزالة صفة المأساة عن الحرب النووية ، وذلك بجعلها محصلة طبيعية بين دول تملك تسليحاً ذرياً •

وفي الوقت نفسه ، وبما ان الاميركيين أصبحوا لا يعتقدون بجدوى « الثأر الكثيف » ، فقد عدّلوا أسلحتهم وعقيدتهم ، فوضعوا قيد الاستخدام أسلحة تكتيكية ذات قدرات محدودة ومطابقة لمسرح العمليات ، وبدلوا عقيدة « الانتقام الكثيف » بعقيدة الردّ المناسب لكل حالة أو « الرد المرن » • هذه العقيدة التي كانت ولا تزال تفترض القيام بمعركة تقليدية أطول مدى ممكنة ثم استخدام الاسلحة النووية الاستراتيجية في حال فشل كافة الوسائل الاخرى •

تعتبر عقيدة « الرد المرن » أكثر واقعية من سابقتها ، وقد أثارت اهتمام الناس في البدء عندما كان التفوق الاميركي واضحاً في مجال الأسلحة النووية الخاصة بساحة المعركة ، اذ كانت تجعلنا نأمل بانتصار على المستوى النووي التكتيكي في حالة الهزيمة على المستوى التقليدي •

ولكن التسابق في التسلح النووي التكتيكي تلا ورافق سباق التسلح النووي الإستراتيجي ورغم الـ ٦٠٠٠ رأس نووية تكتيكية المنصوبة في أقطار حلف الاطلسي ، فقد لحق السوفييت بالركب وتجاوزوا تأخرهم الأولي ، فهم وان لم يكن لديهم مدافع نووية الا انهم يمتلكون الكثير من الصواريخ والطائرات التي لها نفس الفعالية •

واندفع الانكليز والفرنسيون بدورهم في صناعة هذا النوع من الاسلحة وذلك رغم الصعوبات التي يلاقيها الفرنسيون بايجاد الملاكات اللازمة لاستخدام

أسلحتهم النووية التكتيكية (قنابل أن — ٥٢ (AN 52) التابعة لسلاح الجو وصواريخ بلوتون (Pluton) التابقة للقوى البرية) وذلك في ظل المفهوم المتصلب للردع الاستراتيجي المذكور سابقاً والمفترض أن يكون قادراً لوحده على منع أي شكل من أشكال الهجوم •

وبالرغم من التخفيض الخفيف الذي طرأ مؤخراً على عدد الرؤوس النووية التكتيكية لدى حلف الاطلسي فان أوروبا لازالت مشبعة تماماً بهذا النوع من الاسلحة التي يقل متوسط قدراتها بقليل عن قنبلة هيروشيما •

واذا أخذنا بعين الاعتبار الكثافة السكانية في هذه المنطقة من العالم فان أي احتمال لاستخدامها يجعلنا نرتعش هولاً ، وأصبح من غير المنطقي رفع عصا المعارضة ضد الاسلحة النيوترونية والمعدة لتحل جزئياً محل الاسلحة النووية التكتيكية •

مما لاشك فيه ان الاسلحة النووية التكتيكية الحالية تسمح بتدمير الدبابات ضمن مساحة كبيرة نسبياً (دائرة نصف قطرها بضع مئات الامتار) ولكنها في الوقت نفسه تدمر المدن والقرى ضمن مساحة أكبر بكثير (دائرة نصف قطرها بضعة كيلو مترات) أي في المنطقة التي يكون فيها سدنة الدبابات محميين وهم داخل دروعهم وذلك بعكس الاسلحة النيوترونية التي لا تسبب أي ضرر خارج المنطقة التي يقتل فيها سدنة الدبابات ، واذا كانت قد سميت هذه الاسلحة رسمياً بالاسلحة ذات الاشعاع القوي فبالامكان تسميتها أيضاً بالاسلحة ذات تأثير عصف وحراري مخفضين (انظر الملحق ١) •

وبما أن الاسلحة النيوترونية أقل إماتة من الاسلحة النووية التكتيكية فان استخدامها سيكون بدون شك أكثر سهولة ومعقولاً أكثر ، وهذا ما أثار الخوف لدى السوفييت الذين نظموا حملة واسعة في الغرب ضد انتاجها ، وقد أعطت هذه الحملة نوعاً ما ثمارها اذ أوقف « الرئيس كارتر » انتاج هذه الاسلحة في ٧ نيسان ١٩٧٨ رغم طلبه الشخصي بادراج المصاريف اللازمة لانتاجها في ميزانية العام نفسه أي ١٩٧٨ •

وفي آب ١٩٨١ ألغى « الرئيس ريغان » قرار كارتر ووضع قيد التصنيع ١٢٠٠ رأس نيوتروني معدة لصواريخ « لانس » وقذافات ٢٠٣ مم مؤكداً ان هذه الاسلحة ستخزن في الولايات المتحدة وانها لن تتدخل في اوروبا الا بعد مشاورات مكثفة مع حلفائها .

حتى اذا كان التوازن محترماً بشكل عام بين الحلف الاطلسي وحلف وارسو فان الكثافة غير المعقولة للاسلحة النووية التقليدية هي منشأ العقيدة الاميركية الجديدة أي عقيدة « روجرز » .

وتهدف هذه العقيدة التي امتدحها الجنرال القائد العام لقوى حلف الاطلسي الى توجيه الجهد العسكري للقوى المتحالفة نحو تدعيم التسلح التقليدي لمجابهة التفوق السوفييتي الحالي في هذا المجال . ويرغب الجنرال «روجرز» بتأمين تسليح عالي التقنية قادرٍ على الضرب في عمق الترتيب المعادي بأمل الوصول الى تكافؤ تقليدي في الوقت المناسب ، هذا التكافؤ الذي يسمح باجراء معركة فعالة والتصدي لأي هجوم تقوم به قوات حلف وارسو دون اللجوء الى الاسلحة النووية .

هذه العقيدة بنتائجها النهائية مغرية جداً ، ولكنها لم تثر الحماس لدى الدول الاعضاء في منظمة حلف الاطلسي ، ويقدر بعض المختصين ان رفع عتبة استخدام الاسلحة النووية سيؤدي الى اضعاف الردع النووي الاميركي والى بث روح التفرقة بين الولايات المتحدة وأوروبا ، ويعتبر البعض الآخر انه لم تثبت بعد فعالية الاسلحة التقليدية المرتقبة خاصة اذا قارنّاها مع سهولة حركة وتعدد نوعيات أسلحة الجيش الاحمر التقليدية والكيميائية ، هذا بالاضافة الى صعوبة تحديد الاهداف داخل الاراضي المحتلة من قبل العدو .

ومن جهة ثانية ، فاذا أُخذ بهذه العقيدة فستكون مكلفة جداً بالنسبة لاقتصاديات أوروبا وستؤدي الى سباق جديد للتسلح ـــ تقليدي هذه المرة ـــ في الوقت الذي تستمر فيه الجهود فيتطوير السلاح النووي، فصواريخ إس إس ـــ ٢٠ في الشرق وصواريخ كروز وبيرشنغ ـــ ٢ في الغرب هي أكبر دليل على ذلك .

فمنذ أن أعلن المستشار الألماني شميدت شكواه من تهديدات إس إس ــ ٢٠ لأوروبا في تشرين الاول عام ١٩٧٧ ، وهذه الصواريخ ذات المدى المتوسط مدار تعليقات الاخبار ومصدر قلق الوزارات ٠

ان إس إس ــ ٢٠ عبارة عن صاروخ متحرك ، غير مطمور ، ذي ثلاثةرؤوس نووية ، يبلغ مداه حوالي ٥٠٠٠ كم وهذا المدى غير كاف لاصابة الولايات المتحدة ولكنه كاف لتغطية كل أوروبا الغربية انطلاقاً من أية نقطة في روسيا الاوروبية ، إن دقة هذا الصاروخ عالية جداً اذا اعتبرنا أنه غير مجهز بأجهزة توجيه نهائية ، ويقوم السوفييت الآن بنصب ٢٥٠ صاروخاً في أوروبا (٧٥٠ رأساً نووية) ومائة في آسيا ٠

ولتأمين التوازن ضد هذا الخطر ، قرر الرئيس كارتر نصب ١٠٨ صواريخ باليستة طراز بيرشنغ ــ ٢ مداها ١٨٠٠ كم ، و ٤٦٤ صاروخ كروز مداها ٢٥٠٠ كم في أوروبا ٠

وبناء على اقتراح من شركائه الغربيين ، إقترح الرئيس كارتر ألا ينصب صواريخه الجديدة مقابل تفكيك الاتحاد السوفييتي لصواريخ إس إس ــ ٢٠ ، وانتخب ريغان بعد مدة وجيزة وأخذ الفكرة نفسها مسمياً اياها « خيار الصفر » أي لا صواريخ إس إس ــ ٢٠ ، ولا صواريخ بيرشنغ ــ ٢ وكروز٠

وبما ان « خيار الصفر » هذا كان سيقود السوفييت الى تفكيك كل صواريخهم الجديدة فقد رفضه ليونيد بريجنيف واقترح بالمقابل تجميد نصب الصواريخ أي انه يتعهد بعدم نصب صواريخ إس إس ــ ٢٠ جديدة اذا تخلى الغربيون عن مشروعهم بنصب الصواريخ ، وقد رفضت البلدان الاعضاء في منظمة حلف الاطلنسي هذا الحل لانه سيثبت رسمياً عدم التوازن الموجود بين المعسكرين ٠

وبعد وصول السيد اندروبوف الى الحكم بقليل اقترح بمهارة عدم نصب صواريخ إس إس ــ ٢٠ الا العدد المساوي للصواريخ الاستراتيجية البريطانية

والفرنسية « دون زيادة أي صاروخ » ، وأعلن في آب ١٩٨٣ انه مصمم على تفكيك بعض الصواريخ إس إس ــ٢٠ احتراماً لهذا التحديد .

وكانت حجته في ذلك بسيطة للغاية ويمكن التعبير عنها كما يلي :

« ان الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة قد وصلا الى نوع من التوازن الاستراتيجي فيما يتعلق بشعاع المدى العابر للقارات ، وبما ان إس إس ــ ٢٠ لا تستطيع إصابة نيويورك فانها لاتبدل شيئا في هذا التوازن . بالمقابل فالصواريخ الفرنسية والبريطانية قادرة على ضرب الاتحاد السوفييتي فتأتي اذن اضافية ومن الطبيعي موازنتها بال إس إس ــ ٢٠ » .

رفض الغربيون بالاجماع هذه الحجة مدعين باستقلالية فرنسا وبريطانيا العظمى ، وبأن هناك بعض الضعف الاستراتيجي لدى الغرب . وقد أبدى البعض الآخر فكرة ان المانيا الاتحادية وايطاليا مهددتان بال إس إس ــ ٢٠ بينما لاتستطيع الصواريخ الفرنسية والبريطانية إلا مواجهة الهجوم الموجّه ضدها ، ولا يمكنها بأي شكل كان أن تشكل مظلة قادرة على حماية أوروبا .

ونظراً لأن المحادثات الاميركية السوفييتية التي جرت في جنيف لم تؤد إلى أي نتيجة فقد نُصبت صواريخ كروز وبيرشنغ ــ ٢ في أوروبا الغربية اعتباراً من نهاية عام ١٩٨٣ ، وأتت كل هذه الصواريخ إضافة الى ترسانة ضخمة قيد التطور دوماً ، وبذلك ازدادت امكانية « القتل عدة مرات » .

وفي الوضع الحالي للعالم ، ليس من الأهمية بمكان أن نتقاتل من أجل بضع مئات من الصواريخ زيادة أو نقصانا ، بل المهم أن نسعى وبكل قوتنا كي لا تجتمع أبداً شروط استخدام هذه الصواريخ .

أربعون عاماً من الخوف المتواصل قادت الكتلتين العسكريتين الأساسيتين في العالم الى تخزين كميات من الأسلحة تفوق قدرتها .

فقدرة الاسلحة الحالية على التدمير تؤدي بشكل عام الى نوعين من التفكير .

فالمتشائمون يؤكدون ما يلي : « أثبت التاريخ ان البشر لابد وان يستخدموا الاسلحة التي يصنعونها » • بينما يجيب المتفائلون : « ان السلام القائم بين الكتلتين منذ عام ١٩٤٥ يبرهن ان التسليح بضخامته الحالية لا يسمح لأي كان بتحمل مسؤولية المجازفة بمهاجمة غيره » •

من الممكن أن نذكّر الفئة الاولى ان« الاسوأ ليس مؤكداً دوماً » وان الاسلحة الكيميائية ـ الغازات ـ لم تستخدم أثناء الحرب العالمية الثانية رغم تكديسها ، وعلينا أن نقول للمتشائمين ان مواقفهم خطرة لانها مثبطة للعزائم ، فاذا كان كل شيء مكتوباً مسبقاً فما الفائدة من القتال ضد الحرب •

وكي نجابه أقوال الفئة الثانية يجب الاعتراف أولا ان ليس هناك وسائل سيئة للمحافظة على السلام ، ومن الافضل أن يكون لدينا الكثير من الاسلحة بدون حالة حرب من أن يكون لدينا أسلحة قليلة مع حالة حرب ، ومن الافضل أن نعيش قرب مخزون من الاسلحة النووية من أن نموت بطعنة حربة •

ومن الضروري أيضا افهام هؤلاء المتفائلين ان اعتقادهم هذا يجب أن يدعم بالبراهين ، فالتوازن الذي يدوم قد لا يصبح أبدياً ، والبهلوان قد يبقى طويلاً على حبله ولكن اذا لم ينزل طواعية فسينتهي للسقوط •

فرغم ان العالم لازال متوازناً منذ سنين عديدة الا ان خطر السقوط نحو الهاوية يبقى وارداً دوماً فمن المهم جداً أن نعلم فيما اذا كان التوازن الحالي الذي وصلنا اليه نتيجة سلسلة من حالات خلل التوازن المعدلة سيدوم أم لا •

يعتبر الافراط في التسلح الحالي العنصر الاول في الخطر الذي يهدد البشرية ولكنه لوحده لا يشكل أي خوف • والمتفائلون على حق في ذلك ، إذ أن الخطر الحقيقي لا يتحقق الا بشرطين : الشرط الاول أن تُقدّر إحدى الكتلتين العظميين ان هجومها على الطرف الآخر حيوياً بالنسبة لها والشرط الثاني أن تعتقد بأن لديها أملاً بالانتصار مع خسائر معقولة •

الفصل الثاني

أسباب النزاع

في السابق عندما كان ملوك انكلترا وبروسيا وفرنسا يقررون الحرب كانوا لا يعرضون أنفسهم كثيراً للمخاطر .

ومنذ العصور الوسطى أخذ يقل اشتراكهم شخصيا في المعارك ، وفي حال هزيمتهم كانوا يخسرون بعض المقاطعات أو عدداً من صناديق الذهب وفي أسوأ الحالات كانوا يتعرضون للنفي .

أما الآن وفي حال قيام نزاع نووي فحظ البقاء للمدنيين لن يكون أكبر من حظ الجنود .

كل ذلك سيساعدنا على التفكير بروية ، ويولد لدينا قناعة أكيدة بأن الحرب لن تشتعل بين دول نووية لاسباب واهية ، ولن يكون منشأ حرب عالمية ثالثة برقية من ايمس Ems ، سواء كتبت هذه البرقية في كوبا أو تشاد أو أفغانستان .

وحتى لو ظن مسؤولو احدى الكتلتين أن لديهم فرصاً كبيرة بالنصر دون أن يولد ذلك النزاع حرباً نووية ، فلن تكون لديهم بأية حال القناعة المطلقة بذلك، ولن يجازفوا بالهجوم الا لأسباب أساسية للغاية وهي : بقاء نظامهم وبقاؤهم هم أنفسهم على قيد الحياة .

لا تتمتع الديموقراطيات البرلمانية التابعة لحلف الاطلسي بكل الصفات الحسنة، فبعض هذه الديموقراطيات هي ديكتاتوريات مجرمة وبعضها الآخر قام بحروب إستعمارية لا تتناسب مع مثلها الانسانية خوفاً من الشيوعية أو دفاعاً عن مصالحها المادية الخاصة . ولكن رغم كل ذلك فمن شبه المستحيل أن تقدم إحدى هذه

الديموقراطيات ــ وعلى الأخص حلف الأطلسي الذي يجمعها ــ على المجازفة بمهاجمة إحدى دول أوروبا الشرقية .

ان تأثير الرأي العام وحده لا يسمح بذلك ، إلا في حالة واحدة وغير مؤكدة: « ميزة عسكرية واضحة ومؤقتة يمكنها أن تضفي المظهر المنطقي لهجوم وقائي » .

فمثلا ، اذا استطاع الاميركيون أن يقيموا قبل الروس جهازاً دفاعياً فعالاً ضد الصواريخ الباليستية مؤمنين بذلك حمايتهم من أي خطر ، مع علمهم الأكيد بأن السوفييت على وشك صنع أسلحة قادرة على خرق دفاعاتهم من جديد ، وكان الاتحاد السوفييتي في الوقت نفسه يقوم بتهديدات توسعية ضد الغرب ، حينئذ سترتفع بلاشك أصواتاً تبشّر وتدعو لهجوم تحرري يسمح بالتخلص من الشيوعية.

لا يصح أبداً معالجة مثل هذا الاحتمال بازدراء ، ولكن هذا الخطر ليس آنياً ، اذ ان التفوق العسكري الغربي ليس مؤكداً بعد، هذا من جهة ومن جهة أخرى فيجب ألا ننسى ان الولايات المتحدة لم تستغل امتلاكها للحصر النووي طوال سنين عديدة بعد الحرب العالمية الثانية لمهاجمة المعسكر الشرقي رغم وجود من فكر بذلك إلا ان الناخب الاميركي العادي لم يشعر بالحاجة الماسة لهذا .

لم يهاجم الاميركيون عام ١٩٤٨ فلا شيء اذن يدعونا ان نتوقع قيامهم بذلك في المستقبل المنظور .

بالمقابل هل هناك خطر جاد قد يأتي من الشرق ؟ هل يتوقع أن يجازف السوفييت ببدء حرب عالمية ثالثة رغم الآلام والمآسي التي عانوها خلال الحرب العالمية الثانية ؟..

حسب رأيي الشخصي لا يتوقع ذلك الا اذا استطاع الاتحاد السوفييتي تأمين تقدم تقني يسمح له بالحصول على انتصار سهل ، أو اذا كانت الحرب هي الوسيلة الوحيدة للحفاظ على بقائه واستمرارية نظامه .

من الممكن طبعاً أن يحصل الروس أو الأميركيون على قفزة علمية لمدة محدودة

وعلى الأخص في مجال الصواريخ المضادة للصواريخ، ولكن لا يمكن توقع ذلك قبل عشر سنين على الأقل ، رغم ذلك فمن المؤكد الحصول على نتائج حاسمة نظراً لتنوع الوسائط النووية الاستراتيجية الأميركية •

نحن نرى ان الحاجة للهجوم ضمن المدى القريب مرتبطة باحتمال وحيد هـو أن يصبح العالم السوفييتي مهتزاً على حدوده ، مضطربا داخلياً وأن يبـدأ بالترنح لدرجة تصبح معها سلامته متوقفة على حرب خارجية •

يعتبر الاتحـاد السوفييتي ، حسب رأي الكثـيرين من الغربيين ، مثـالاً للاستقرار ، وهو يمد سيطرته الايديولوجية والسياسية باستمرار خارج حـدوده ولن يتراجع أبداً ، أما داخلياً فلا شيء يمكن أن يزعزع توازنه بفضل متانة القوائم الثلاث التي تستند عليها السلطة ألا وهي : الحزب والجيش الأحمر والمخـابرات (ك•ج•ب K. G. B) .

يبـدو لي ان هـذا الاستقرار الشهيـد مشكوك • فيـه خارجيـاً بـدأ يخـف الاقبـال عـلى النمـوذج السوفييتي ، فخـلال عشـرات السنـين التي مضت كان ملايين الرجال والنساء ذوي المثل الانسانية يفكرون بموسكو عندما كانوا يحلمون بعالم أكثر فعالية وعدالة وأكثر انسانية ونقاءً ، أما اليوم فقد تخلى أغلبهم عن هذا النموذج • كما أصبح عدد مؤيدي الاحزاب الشيوعية في أوروبـا الغربية يتناسب طرداً مع درجة عدم ولاء هـذه الاحزاب لموسكو فالمثل الماركسية لا زالت تحتفظ بمكانتها الراسخة في العالم ولكن كم عدد الرجال أو النساء خارج حدود الاتحاد السوفييتي المستعدين للقتال من أجل موسكو ؟

أما بالنسبة للمكتسبات السوفييتية ، فهي لا تبدو لي بوضع سليم ، فماذا بقي من مليارات الروبلات التي استثمرت في سد اسوان ؟ لا شيء سـوى طرد الخبراء السوفييت من مصر والقمع الصارم للحزب الشيوعي في هذا البلد • وماذا بقي من قاعدة بربرة الفخمة في الصومال ؟ لا شيء سوى استخدامها من قبـل الغربيين • وماذا بقي من جهود التوطد في العراق وغينيا ؟ وفي أثيوبيا وأنغولا وموزامبيق ؟

فرغم جودة العلاقات الرسمية وحجم المساعدات العسكرية الممنوحة فان المستقبل غير مضمون •

وبعد أربع سنين من نزول السوفييت في أفغانستان فهم لا يزالون يتأرجحون بحربهم بين المراوحة والفشل •

وبشكل عام فان الستار المشكل من الديموقراطيات الشعبية أصبح أقل حماية للاتحاد السوفييتي من ذي قبل •

اما ضمن حدود الاتحاد السوفييتي نفسه ، فالمعارضة التي لازالت محدودة بدأت تترك المحيط الضيق للمثقفين الروس ، وأصبح النظام الاقتصادي ، قاعدة الماركسية ، ينتقد بشكل مغطى ، وأخذت الصحافة الرسمية تفضح الامثلة الاكثر بروزاً في عدم جدوى البيروقراطية • وقد أصبحت الامتيازات التي ينالها مسؤولو الحزب والجيش والمخابرات معروفة أكثر فأكثر ، لذا فقد أصبح تحملها يقل أكثر فأكثر •

ان مهمة الصفوة الحاكمة للحفاظ على هذه المكتسبات تصبح سهلة نوعاً ما اذا كان الاعلام مقتصراً عليهم وكان الشعب معزولاً عزلاً تاماً عما يجري في العالم الخارجي ولا يسمح الا المديح للحزب ، ففي هذه الحالة لا يمكنه أن يمجد قادته• ولكن كلما ازداد اطلاع الشعب ازدادت التهديدات لهذه الامتيازات •

لا يعتقد الشعب السوفييتي بالتأكيد ان النموذج الغربي كامل الصفات ولكنه بدأ يكتشف ثغرات نظامه وأصبح يتمنى حدوث تبدلات جذرية في حياة بلده الاجتماعية ، وأصبح يطمح الى عيش رغد مماثل لما هو في الغرب ، وأصبح أحياناً يحلم بالحرية •

ان التأثير المتزايد للافكار التحررية الغربية في الديموقراطيات الشعبية وحتى داخل حدود الاتحاد السوفييتي يشكل خطراً أساسياً بالغاً على القادة السوفييت ، وللاحتفاظ بمكتسبات ثورة اكتوبر وحماية هذه الميزات فمن الطبيعي السعي

لاسكات الغرب واعادة لحمة شعب الاتحاد السوفييتي مع الفكرة الاساسيةالعظيمة ألا وهي الصراع النهائي مع الرأسمالية الآخذة بالانحطاط •

من المؤكد أن المكتب السياسي لن يجتمع لاتخاذ قرار بالهجوم على أوروبا الغربية ، ولن يكون هناك بدون شك قرار وحيد في ساعة معينة ، بل ستكون القرارات متلاحقة تؤخذ حسب مستجدات الاضطرابات الخارجية ثم الداخلية المتزايدة ، هذه الاضطرابات التي يشجعها الغرب ويغذي محرضيها ــ بالتأكيد كما سيعلن عن ذلك ــ •

واذا اندلعت مقاومة مسلحة في بلد تابع وأخذت الذخائر تهرب براً وبحراً وجواً عبر الستار الحديدي فسيكون من المغري الادعاء بحق ملاحقة منبع التمرد لشله قبل أن يستشري ويعم باقي البلاد التابعة وقبل أن تسري العدوى الى داخل الاتحاد السوفييتي نفسه •

واذا أظهرت السلطة السياسية في يوم من الايام الكثير من الضعف ولم يتفاعل الحزب بحزم ضد هذا الاندفاع في الافكار التحررية وضد الثورة في بلدان الديموقراطيات الشعبية ، في هذه الحالة يخشى من انقلاب عسكري ، ويخشى من الجيش الاحمر • هذا الجيش الواثق من قوته والمعتز بصفاته والحريص على امتيازاته هو عالم مغلق في قلب العالم السوفييتي ورغم ان تبعيته للحزب لاغبار عليها حتى الآن الا انها ظاهرية فقط ، فالبندقية لا تخضع للحزب الا اذا كان الحزب يتبع السياسة التي تفرضها البندقية ، ويفسر ذلك القسم الكبير من الميزانية المخصص للجيش والعسكريين •

ان الجيش الاحمر لا يزال يحتفظ بروحه ، خلافاً للحزب الذي فقدها ، وهي روح محافظة ، روح جماعية ، روح الثورة الحقيقية النقية والصلبة ، روح الكفاح ضد هتلر ، روح معركة السلاف ضد التوتون والمغول ، روح روسيا الكبرى •

لا يمكن أن تتحمل هذه الروح غزو أصحاب المثل العليا الغربيين ، فالجيش الاحمر المتمتع بالنبل في الدفاع هو الآن خطر ويفكر بالهجوم ، بالهجوم العسكري القادر وحده على ايقاف التدفق الايديولوجي الذي يهدده •

فالضخامة الحالية للتسلح تشكل بحد ذاتها العنصر الاول للخطر المحلق فوق البشرية ، وحسب رأيي الشخصي فان عدم المتانة الحقيقية للنظـام السوفييتي هي العنصر الثاني لهذا الخطر .

ان القادة السوفييت سيخافون حتماً اذا ثارت بولونيا أو المجر أو أي بلد تابع آخر ، واذا رفضت جيوش هذه البلاد الاشتراك بقمع الثورة وتآخت معها ، سيخاف القادة السوفييت من سريان العدوى ومن رؤية ستارتهم تتهاوى وهيبتهم تتقلص وامتيازاتهم تضمحل ونظامهم ينهار .

ولكن اذا كان لدى أوروبا الغربية الجهاز الدفاعي المناسب فسيكون الخوف من طرف واحد أي من طرف السوفييت ، اما اذا لم يجهز الغرب نفسه جيداً، واذا رأى الجيش الاحمر نفسه قادراً على طرح عدوه أرضاً بخسائر سوفييتية ضمن المستوى المعقول ، عندئذ سيقوم الاتحاد السوفييتي بالهجوم لانقاذ نفسه .

هل لدى الجيش الاحمر طرق قتال مناسبة ؟ هل هي حاليا الهجوم النووي ، أم الهجوم التقليدي والكيميائي ؟

الفصل الثالث

خطر الهجوم النووي

لا يمكن لبلد ما أن يشن هجوماً نووياً على بلد آخر الا اذا كان متأكدا بأنه لن يتعرض لأي عقاب نتيجة ذلك •

وستكون نوعية العقاب مختلفة تبعاً للدولة التي يقع عليها الهجوم فيما اذا كانت نووية أو غير نووية •

أمام دولة نووية لن يكون للمهاجم أي أمل بعدم العقاب الا في حالتين : ألا تجرؤ الدولة التي وقع عليها الهجوم على الرد أو أن يكون المهاجم قادراً على شل كافة امكانات الرد المعادية •

ليس من المعقول أبداً ألا نرد على هجوم نووي ، اذا توفرت لدينا الوسائل ، بهجوم من النوع نفسه ، فمهما بلغ اشمئزاز المسؤول السياسي الأعلى لأي دولة من الحرب النووية ، فلن يتردد باللجوء اليها اذا رأى منشآته العسكرية مدمرة ومدنه ركاماً ومواطنيه وقد تحولوا الى رماد ، فمع الاسف لايزال مبدأ تاليون Talion قائماً •

فإذا شن السوفييت هجوماً نووياً على احدى الدول الغربية النووية فلن يكون هناك أدنى شك بأن الدولة التي وقع عليها الهجوم ستلجأ للثأر ، فهل لدى السوفييت في هذه الحالة القدرة على شل امكانات الرد المعادية ؟•

لدى الغرب حالياً ثلاثة أنواع من قوى الردع والمسماة بالقوى الاستراتيجية وهي : قاذفات القنابل الاستراتيجية ، الصواريخ البالستية أرض ـ أرض تطلق من صوامع مطمورة ، وصواريخ بالستية بحر ـ أرض تطلق من الغواصات النووية •

يطلق المعجم العسكري على كل نوع من هذه الانواع اسم « مركّبه الـردع الاستراتيجية » فلدى الاميركيين والفرنسيين ثلاث مركّبات (وان كانت مختلفة في المستوى كمياً) ولدى الانكليز مركّبتاز فقط اذ ليست لديهـم صواريخ مطمورة ضمن صوامع •

اضافة الى ذلك يقوم الاميركيون حالياً بوضع مركّبة رابعة قيد العمل ، وهي عبارة عن طائرة صغيرة بدون طيار : « صواريخ كروز » • وقد قرر مؤخراً كل من الاميركيين والفرنسيين ــ وان لم يرصدوا بعد الامـوال اللازمـة لذلك ــ تطوير مركّبةجديدة هي عبارة عنصواريخ أرض ــ أرض متحركةعلىغرار إس إس ــ٢٠ السوفييتية •

بالطبع يمكن مهاجمة كل من هذه المركّبات إما قبل اطلاقها وهي لاتزال على الارض ، أو بعد اطلاقها وهي تسير على مِحرَكِهـا ، وهـذا ما نسميـه عـادة بمِحرَك العبوة النووية •

فقاذفات القنابل تكون معرضة للاصابة عادة وهي جاثمـة على الارض اذ ان للمطارات أماكن معروفة وتسمح كثرة ودقة الصواريخ السوفييتية بتدميرها جميعاً، ولكن علينا أن ننوه هنا بأنه في هذه الحـالة يتوجب على السوفييت شن هجـوم واسع النطاق نظراً لانتشار الطائرات على عدد كبير من القواعد الجوية المختلفـة • تستطيع بالطبع بعضالطائرات الاقلاع وهي محملةبأسلحتها النووية وتلقّي الانذار وهي بالجو ، ولكن هذه الطريقة منعت في فرنسا لاسباب تتعلق بالحيطة ، اذ ان أية حادثة قد تجر نتائجمأساوية • هذا مع العلم انه يمكنالاخذ بهذه الطريقة في حالات التوتر الدولي الشديد ، وقد استخدم الاميركيون هـذا النوع من الانذار لمـدة طويلة لتأمين سلامة طائراتهم ولكنهم أقلعوا الآن عن هذا المبدأ فأسلحتهم النووية تبقى على الارض في حالة السلم •

ورغم التطور الكبير للرادارات المحـمولة جواً فلا يزال مـن الصعب كشف قاذفات القنابـل اذا حلقت على ارتفـاعات منخفضة وخاصة اذا زوّدت بوسائـل تشويش الكترونيـة •

فاذا كان واضحاً ان هذه الطائرات تستطيع اجتياز الحدود والطيران فوق قسم كبير من أرض البلد المعادي فيجب ألا ننسى الصعوبات التي تلاقيها حين اقترابها من أهداف محمية جيداً ، فمنذ بضع سنين خلت أخذت الصواريخ أرض ـ جو التابعة للدفاع الجوي بالتطور بشكل سريع وذلك بفضل الامكانات التي يقدمها علم الالكترون •

وأخيراً ، اذا كان من المستحيل نصب صواريخ مضادة للطائرات بعدد كفيل بتغطية كامل أراضي بلد ما ، فمن السهل جداً الدفاع عن منطقة معينة أو مدينة •

ونظراً لتعرض قاذفات القنابل للاصابة فان استخدامها غير مجد الا كشعاع حامل للصواريخ ذات مدى متوسط أو بعيد ، صواريخ سريعة وذات حجم صغير مما يجنبها الاصابة ، ويقوم الاميركيون حالياً بتجهيز طائراتهم بترسانة كاملة من هذه الصواريخ ، اما الفرنسيون فقد بدأوا يطبقون الطريقة نفسها بصواريخهم جو ـ أرض ذات مدى متوسط ، والتي ستكون جاهزة للعمل في عام ١٩٨٥ •

ومجمل القول ، بما ان قاذفات القنابل الاستراتيجية الاميركية والفرنسية والانكليزية معرضة للاصابة ان كانت جاثمة في مطاراتها أو محلقة في الجو ، فقد يجازف السوفييت بتدميرها (خاصة اذا كانت فقط طائرات فرنسية وانكليزية) هذا اذا لم يتوفر لدى الغرب وسائل ردع أخرى •

لدى الفرنسيين والاميركيين اضافة الى قاذفات القنابل ، صواريخ أرض ـ أرض باليستية مطمورة عامودياً ضمن صوامع محمية بأبواب أفقية من الاسمنت السميك ، لا يمكن تدميرها الا بتفجير حشوة نووية كبيرة قربها مباشرة •

ولن يجد السوفييت بالطبع أية صعوبة بتدمير صومعة واحدة ، فقوة ودقة صورايخهم مع حساب معدل احتمالات الاصابة تمكنهم من تحديد عدد الصواريخ اللازمة لتدمير صومعة واحدة ، ولكن المسألة تزداد تعقيداً اذا ازداد عدد الاهداف الواجب تدميرها • فمثلا كي يتمكنوا بصواريخهم إس إس ـ ٢٠ من تدمير الثمانية عشر صومعة الموجودة في هضبة « ألبيون » مع نسبة احتمال الاصابة بحدود ٩٥٪

يتوجب على السوفييت قصف هذه المنطقة ليس فقط بعشرات الصواريخ بل بمئاتها، وكي يتمكنوا من تدمير مئات الصواريخ الأميركية بنفس هذه النسبة يلزمهم عدد كبير من الصواريخ يفوق بكثير مخزون الاتحاد السوفييتي .

من الممكن بالطبع أن تتطور التقنيـة وان تصبح صواريخ هضبة « ألبيون » الفرنسية معرضة أكثر لضربة شديدة هذا اذا استطاع السوفييت تجهيز صواريخهم برؤوس للتوجيه النهائي مما يحسن دقتها في الرمي بشكل ملحوظ . ولكن منطـق قانون الاعداد الكبيرة يجعل مجمل الصواريخ الاميركية غير معرضة للتدمير ضمن المستقبل المنظـور .

اضافة الى قاذفات القنابل والصواريخ الباليستية أرض ـ أرض فان الـدول الغربية النووية الثلاث تمتلك غواصات نووية قاذفة صواريخ ، هـذه الغواصات خلافاً لغواصات الهجوم تتحرك على عمق كبير وببطء زائد مما يعطيها ميزة التحرك بسرية ويجعل كشفها وبالتالي اغراقها صعباً .

اما الآن وقد ازداد مدى صواريخ هذه الغواصات فقد أصبح بامكانها الاختباء واطلاق صواريخها من أي مكان سواء كان ذلـك في منتصف المحيط الاطلسي أو قرب برست أو لوس انجلوس ، وأصبح بامكاننا القول حالياً ان البحث عن غواصة في أعماق المحيطات هو أصعب من البحث عن ابرة في كومة قش أو البحث عن حبـة رمل لها صفات خاصة على امتداد شاطىء فسيح .

اضافة الى ذلك فان انعكاس الضوء على الخط الفاصل بين الهواء وماء البحر يجعل من الصعب اختراق هذا الخط ولا يوجد حالياً أية تقنية قيد التطوير تسمح لنا بالتنبؤ متى سيصبح بالامكان كشف الغواصات وتدميرها من مسافات بعيدة .

ويبقى هناك خطر وحيد هو أن تلاحق الغواصة منذ خروجها من المرفأ مـن قبل غواصة نووية معادية وان تغرقها سراً دون أن نعرف ان كان ذلك ناتجاً عن حادث أو عن هجوم معادٍ ، لذلك يجب أن يكون لدينا أكثر من غواصة كي نتمكن مـن القيام بالرد المناسب .

فاذا أخذنا بعين الاعتبار عدد الغواصات الموجودة بالاضافة الى صعوبة كشفها نستنتج انه من المستبعد أن يتمكن السوفييت التخلص ليس فقط من الغواصات الاميركية بل من الغواصات الفرنسية والانكليزية أيضا • وستبقى هذه الغواصات المنتشرة في أعماق المحيطات على مساحات تبلغ ملايين الكيلو مترات المربعة غير معرضة للاصابة لمدة خمس عشرة سنة أخرى •

تبقى لدينا مشكلة اصابة الصواريخ الباليستية أثناء انطلاقها نحو أهدافها ، فالمشكلة هي نفسها ان أطلقت هذه الصواريخ من صوامعها المطمورة أو من الغواصات النووية ، يختلف الامر فقط أثناء مرحلة الاطلاق والتسارع اذ ان مواضع الصوامع معروفة على العكس من أماكن الغواصات • واذا كان من السهل كشف هذه الصواريخ أثناء مرحلة الاطلاق (مؤشرات حرارية كبيرة) أو أثناء وجودها خارج جو الارض (مؤشرات رادارية غير مشوشة) فالتصدي لها ليس سهلاً •

أجريت أبحاث عديدة في الشرق والغرب لتطوير صواريخ مضادة للصواريخ قادرة على التصدي للصواريخ الباليستية أثناء دخولها الطبقات الكثيفة للجو الارضي ، ولكن كلفتها مرتفعة جداً ولا زالت فعاليتها محدودة خاصة اذا كانت الصواريخ الباليستية مزودة بأجهزة خداعية ، وان لم يُصنع حتى يومنا هذا إلا أعداداً محدودة جداً من الصواريخ المضادة للصواريخ • فليس مرد ذلك احترام الاتفاقيات الاميركية السوفييتية حول تحديد التسلح الاستراتيجي (سالت)[1] بل على الأغلب بسبب كلفتها المرتفعة •

لا يوجد في الولايات المتحدة أية مدينة محمية ، أما في الاتحاد السوفييتي فليس هناك سوى موسكو ومحمية جزئياً فقط اذ ان جهاز الدفاع ضد الصواريخ في هذه المدينة لا يمكنه أن يتصدى الا لهجوم محدود جداً ولصواريخ غير متطورة•

---

(١) سالت (SALT) = مباحثات الحدّ من التسلح الاستراتيجي
[Strategic armament Limitation talks]

وستبقى هذه الصواريخ الباليستية المزودة بأفخاخ وأجهزة خداع غير قابلة للاصابة وذلك لأمد قصير ، ولكن سيتم حتى بعد فترة ما اكتشاف وسائط دفاع أحدث ضد هذا النوع من الصواريخ ، وستكون هذه الوسائط أكثر فعالية وذات مردود أفضل يمكن الاعتماد عليه أكثر من بضع الصواريخ المضادة للصواريخ والموجودة حالياً • وقد دخلت الدراسات التي يجريها الاتحاد السوفييتي في هذا المجال مرحلة متقدمة ، أما في الولايات المتحدة فقد أصدر الرئيس ريغان تعليماته للباحثين الاميركيين بوجوب توجيه أبحاثهم نحو الصواريخ المضادة للصواريخ الباليستية (A. B. M.) وهناك تجارب ناجحة نوعاً ما في المعسكرين •

ان التقنيات المتوقعة في هذا المجال كثيرة ومتنوعة ، وقد تكون مبدئياً مبنية على أشعة ليزر هذه الاشعة التي تنطبق بشكل عام على « أشعة الموت » العزيزة على قلب مؤلفي الروايات العلسية الخيالية • بعض العلماء يعتقدون بهذا النوع من التقنية مستندين بذلك على التسارع الشديد للقوى القابلة للاصدار ، اما البعض الآخر فلا يعتقد ان هناك أي جهاز عملياتي سيرى النور قبل مضي بضعة عشرات من السنين •

لقد اكتشفت منذ مدة طرق أسهل وينتظر أن تعطي نتائج ايجابية ، وتقوم هذه الطرق على التصدي للصواريخ في مرحلتها الابتدائية وليس النهائية ، اذ يمكن لقمر صناعي أن يكتشف بسهولة انطلاق أي صاروخ نتيجة الاشعاع الصادر عن محركه ، ويبدو لنا أن التصدي في هذه المرحلة ممكنا اذ ان الصاروخ سيكون بطيئاً وقليل المناورة في لحظة اطلاقه وبدء مرحلة تسارعه ، ويمكن أن يتم التصدي بواسطة صاروخ يطلق من القمر الصناعي •

ولكننا الآن لا نستطيع أن نؤكد ما هي الطريقة الاسلم والاقل كلفة التي سيعمل بها للتصدي للصواريخ الباليستية ، ولا نستطيع أن نؤكد أيضاً ان هناك طريقة ما ستوضع قيد التنفيذ بعد مدة قريبة نسبياً •

يخشى على الغرب من قفزة تقنية في هذا المضمار ، وقد تفهم الاميركيون ذلك

وبدأوا بتطوير مركّبات جديدة ذات تقرب غير باليستي مثل صواريخ كروز التي تطلق إما من الطائرات أو من الأرض ، أو من سفينة أو غواصة .

ولم يتخذ البريطانيون قراراً بعد حول هذا الموضوع بينما اختار الفرنسيون تطوير مركّبة جديدة باليستية هي صواريخ أرض ـ أرض متحركة إس إكس (S. X) .

وقبل أن نبحث في الجزء الثاني من هذا الكتاب « ما العمل » والوسائل الواجب وضعها قيد التنفيذ كي تحافظ بلد ما كفرنسا على امكانيات الردع ، هناك استنتاج يفرض نفسه :

اذا قرر الاتحاد السوفييتي في المستقبل القريب شن هجوم نووي مفاجىءعلى فرنسا ، فسيدمر وبسهولة أغلبية قاذفات القنابل الاستراتيجية وهي جاثمة على الأرض ، وقد يتمكن في أقصى الحالات من تدمير صواريخ هضبة « ألبيون » بشن هجوم واسع النطاق ملوثاً بذلك جزءاً كبيراً من أوروبا الغربية والشرقية ، ولكنه سيقف عاجزاً تماماً أمام الغواصات النووية وصواريخها ، ففي مثل هذا الوضع لن يستطيع السوفييت تجنب رد فرنسي على الضربة الاولى بضربة ثانية مكونة من عشرات الصواريخ التي تفوق قوتها بكثير قوة قنبلة هيروشيما مما سيؤدي الى موت عشرات الملايين في الاتحاد السوفييتي . فمن غير المعقول اذن أن يقوم السوفييت بشن هجوم نووي على فرنسا أو المملكة المتحدة أو بالطبع على الولايات المتحدة .

فهدف الردع اذن هو جعل أي هجوم غير منطقي ، فاذا استطاعت دولة ما وبعد تعرضها لهجوم نووي كثيف أن تبقي لديها قوى نووية إستراتيجية سالمة تتمكن من خرق الدفاع المعادي ، فانها تردع العدو بشكل كاف عن المجازفة بهجوم نووي .

في هذه الحال فان الردع مجدٍ ، والقوة النووية تحمي ...

فالقوة النووية تردع القوة النووية .

اذا كان خطر التعرض لهجوم نووي ضعيف بالنسبة لدولة نووية ، فما هـو الحال بالنسبة لدولة غير نووية ؟... ان مثل هذه الدولة اما ان تكـون معزولة أو داخلة في تحالف ما .

فاذا كانت هذه الدولة منعزلة فستكون بلا شك وفي حالة نزاع مسلح معرضة لهجوم نووي ، ولن يجازف أحد بوجوده كي يهب لنجدتها ولن يستطيع أحد ردع عدوها عن معاملتها بالطريقة التي يريـد .

فقد تفهمت يوغوسلافيا هذه المشكلة جيداً وبذلت جهوداً كبيرة لبناء ملاجئ ذرية ذات نوعية جيدة كافية لاستيعاب معظم سكانها ، اما سويسرا فكان رد فعلها مشابها ليوغوسلافيا وإن كان على مستوى أقل .

أما اذا كانت الدولة غير النووية متحالفة مع دول نووية فستكون مجازفـة المهاجم أكبر ، فاذا فكر السوفييت مثلاً بشن هجوم نووي كثيف على جمهوريـة ألمانيا الاتحادية فعليهم أن يتوقعوا ردود فعل الدول النووية الثلاث والتي لها قواعد عسكرية في هذا البلد . بالطبع لن يكون الرد محتماً كما لو هوجمت دولة نووية ، ولكن المجازفة ستكون كبيرة مما يجعل توقع مثل هذا الهجوم صعباً حتى في حالـة ضرورات حيويـة .

هناك سؤال يطرح نفسه ، هل تزداد الحماية لدولة غير نووية اذا تواجـدت على أرضها أسلحة الحلف النووية ؟؟..

لا يمكن الرد بجواب مقنع على هذا السؤال .

من الواضح ان نصب أسلحة نووية اميركية في بعض بلدان الحلف والتي يقوم على خدمتها جنـود أميركيون يزيد من امكانية تدخل الولايات المتحـدة في حالة الهجوم ، ويحسّن هذا التواجد الاميركي الرادع من فعالية المظلة ويقلل من تعرض هذا البلد للخطر .

ولكن من الراضح أيضـاً ان مثل هـذا التواجد يؤمن للعدو أهدافاً مفضلة ذات قيمـة .

ان تكديس الاسلحة النووية الاميركية في بلد ما يمنح هـذا البلد فرصاً أكبر بأن لا تتعرض للهجوم، ولكن ان كان لابد من عدوان نوويفان حجم هذا العدوان سيتناسب مع كمية الاسلحة المكدسة ، وذلك يفسر بوضوح ردود فعل دعاةالسلام الاوروبيين المعارضين لنصب صواريخ بيرشنغ ــ ٢ وكروز على أرضهم ، ولكــن يؤسفنا أن تؤدي هذه الجهود وردود الفعل الى إحباط العزائم •

وبما أنه من الطبيعي أن يُردَّ على أي هجوم نووي بهجوم نووي معاكس ، وبما ان لدى الدول الغربية النووية إمكانات للانتقام ، وبما انه لا توجد أي دولة تستطيع أخذ قرار بالحرب وهي تعلم مسبقا انها ستدفع ثمن ذلك عشرات الملايين من القتلى ، كل ذلك يؤكد لنا انالدول الغربية النووية الثلاث هيبمأمن حالياً وعلى المدى القريب من أي هجوم نووي •

وبالمقابل فان ما سبق لا ينطبق على الــدول غــير النووية المنتسبــة للحلف الاطلسي ، اذ يبقى لدى السوفييت أمل بأن لا يرد رئيس الولايات المتحدة نوويــاً على أي هجوم نووي موجه الى غير أرضه • ولكن من غير المتوقع ان يحدثهجوم نووي على بلد يتمركز فيه عسكريون أميركيون لما فيه من خطر ، خـاصة اذا كان لدى الجيش الاحمر حلول أخرى غير فتح النار النووية •

الفصل الرابع

خطر الهجوم التقليدي والكيميائي

يمتلك السوفييت وحلفاؤهم حوالي ٥٠ ٠٠٠ دبابة قتال أي أكثر من ضعفي ما لدى الغربيين مجتمعين ، ويتوافق هذا التسلح غير الدفاعي مع احدى الافضليات الاساسية للجيش الاحمر •

وخلافاً لما نعتقد فان التفوق السوفييتي في الاسلحة التقليدية ليس ساحقاً بهذا الشكل في كل المجالات •

إذ ان للغربيين تفوقاً واضحاً في بعض المجالات وخاصة في سفن السطح(لديهم مدمرات أكثر بمرتين وحاملات طائرات أكثر بثلاث مرات) وفي حوامات القتال ، وحتى في غواصات الهجوم •

أما في قاذفات الصواريخ المضادة للدبابات فالتوازن محقق تقريباً وكذلك في عدد الفرق الجاهزة بشكل دائم (أقل بقليل من ١٠٠ فرقة لدى كل جانب) ولكن بسبب اختلاف ملاكات الوحدات والاحتياطي الجاهز للدعوة مباشرة فان التفوق السوفييتي يبدو واضحاً (٦٫٥٠٠٫٠٠٠ رجل مقابل ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ رجل لدى الغرب) •

وتتفوق قوات حلف وارسو في المدفعية والطائرات (طائرات الدعم المباشر وقاذفات القنابل والمقاتلات) بنسبة ٢ الى واحد تقريباً ، وهذه النسبة ، كما رأينا سابقاً ، هي أكبر من ذلك في الدبابات والصواريخ أرض ــ جو وخاصة صواريخ أرض ــ أرض •

ورغم ان هذا الاختلاف بالنسبة هو تقريبي (ينشر الاخصائيون عادة أرقاماً أكثر دقة ولكنها غير مؤكدة) لكن تبدو لنا حقيقتان :

أولاً : يتفوق السوفييت في الوسائط الهجومية وحتى في الوسائط التي تبدو ظاهرياً دفاعية ، وفي الصواريخ أرض — جو ، وهناك أفضلية واضحة للصواريخ المتحركة التابعة لفرق الهجوم •

ثانياً : ان التفوق السوفييتي الواضح في الاسلحة التقليدية ليس ساحقاً وليس من المفروض أن تكون نتيجة معركة تقليدية — أي غير نووية وغير كيماوية — تجري خارج حدود الاتحاد السوفييتي لصالحهم ••• هذا اذا قاوم الغرب بذكاء •

ويعلم السوفييت جيداً أن أي حرب هجومية تتطلب ، لأسباب إدارية (لوجستيكرية) تفوقاً ملحوظاً ، وبما ان هذا التفوق موجود لدى السوفييت فعليهم اذن أن يعتمدوا على عاملين :

أولاً عدم كفاءة عدوهم العسكرية ، وثانياً تدنّي معنوياته ، هذا اذا أرادوا النجاح في أي هجوم محتمل •

ان عدم الكفاءة العسكرية ظاهرة كثيرة الحدوث تاريخياً ولكنها احتمالية ولا يمكن بناء إستراتيجية ما عليها ، بالمقابل يمكن التمهيد لتدني المعنويات باستخدام أسلحة جديدة ، وهذا ما نجح به هتلر في أيار ١٩٤٠ بتعاون دبابات بانزر مع طائرات شتوكا وما سعى اليه لاحقاً بدون نجاح بالصواريخ ڤي — ١ (V_1) وڤي — ٢ (V_2)

وهذا ما ينتظره السوفييت بدون شك من أسلحتهم الكيميائية •

مع احتفاظنا بالقيم النسبية ، يمكن اعتبار الاسلحة الكيميائية بالنسبة لعالمنا المعاصر في المستوى نفسه الذي كانت عليه السموم في العصور الوسطى فهي تولد الرعب نفسه وتلقى الادانة نفسها •

ان ادانة انتاج الاسلحة الكيميائية وتجربتها لها مدلول خاص ، فقد منعت الدول المجتمعة في لا هاي عام ١٨٩٩ « استخدام القذائف التي تهدف الى نشر الغازات الخانقة والضارة بالصحة » •

لم يوقع الاميركيون آنئذ على هذه الفقرة كـي لا يكونوا مكبلي الايدي ، أما البريطانيون والفرنسيون والروس ••• والالمان فقد وقعوا عليها •

ورغم توقيع الالمان على هذه الفقرة فقد قاموا في الساعة الخامسة من صباح ٢٢ نيسان ١٩١٥ من مواقعهم الكائنة في الأيبر (بلجيكا) بفتح ٥٠٠٠ اسطوانـة معدنية مملوءة بغاز الكلورين ودفع الهواء غيمة لونها بين الاصفر والاخضر غلفت الخطوط الحليفة ، وصرخ ١٥٠٠٠ رجـل مـن الالم مات منهم ٥٠٠٠ ، وأخليت الخنادق على طول ستة كيلومترات وتركت الرشاشات والمدافع ••• اذ ان الكلور قد أدى دوره •

لو أخذت القيادة العليا الألمانية آنذاك بتوصيات مكتشف الكلورين الكيميائي فريتز هـابر Fritz Haber ، وجهزت قطعات لاستغلال هـذه الثغرة ، لكان بامكانها الاندفاع نحو مرافيء المانش مبتدئة حرب الحركة ، ولربما اختلفت نتائج الحرب العالمية الاولى • ولكن القيادة الالمانية كانت تهدف الى اجراء تجربة فقط ، فحصلت معركة « فردان » و « شومان دي دام » •

استخدمت الغازات عدة مرات بعد ذلك ، فبعد النجاح على الجبهة الغربية ، أرادت القيادة العليا الالمانية تكرار ذلك وكلفت بالطبع فريتز هابر بتنظيم الهجـوم الجديد • وقبل « هـابر » بهذه المهمة دون أن يصغي لتوسلات زوجته « كلارا » التي أرادت منعه من أن يكون سبباً لمذبحة جـديدة ، وانتحرت كلارا ليلة ذهـابه لاداء هذه المهمـة •

ففي يوم ٣١ أيار ١٩١٥ شن الالمـان هجوماً واسعاً (أكثر من ٢٥٠ طن مـن الكلورين انتشرت من ١٢٠٠٠ اسطوانة معدنية على جبهة عرضها ١٢ كم) ولكن هـذا الهجوم فشل نسبياً اذ ان الروس ، وعد حذرهم البريطانيون والفرنسيون ، استخدموا واقيات بدائية ونجحوا باحتواء هجوم أعدائهـم رغم تكبدهم ١٠٠٠٠ قتيـل •

وبعد بضعة أشهر تمكن الالمان من تركيب غاز خانق جديد هو الفوسجين •

وكان هذا الغاز أسهل استخداماً ويتطلب وقاية أفضل للرئتين ، ولحسن الحظ استطاع الحلفاء تطوير تقنية جديدة للوقاية واستبدلت بالواقيات أقنعة كاملة تغطي العينين والانف والفم ، ورغم ان هــذه الاقنعة كانت تعيــق المقاتلين الا انها كانت تمنحهم فرص النجــاة •

ثم أتى بعد ذلك غــاز الخردل الذي استخدم لأول مرة من قبل الالمــان في تموز ١٩١٧ على مقربة من مدينة ايبر التي اطلقت عليه اسمها وأصبح هذا الغــاز يعرف باسم « إيبريت » •

لا يمكن اعتبار هذا المستحضر غازاً خانقاً بسيطاً ، بل هو سائل زيتي يسبب خلال بضع ساعات حروقاً جلدية وحويصلات تنقلب هــذه الاصابة بعد ذلك الى إلتهــاب قصبي ــ رئوي مع ترفع حراري ثم يموت الانسان عــادة بعد ٢ الى ٣٠ يومــاً •

كان الإيبريت ولا يزال سلاحاً كيميائياً مخيفاً لانه يتطلب وقاية كاملة للجلد، ويستطيع اختراق مواد عديدة ، ويبقى مؤثراً خلال بضعة أيام ، بالاضافة الى ذلك فلا تريــاق له •

رد الحلفاء بالمثل على كافــة الهجمات الكيميائية الالمانيــة ، ولكن مع بعض التأخير ، وكانت اصابات الالمان أقل بعشر مرات من اصابات الحلفاء وبلغت مجموع الاصابات خلال الحرب العالمية الاولى أكثر من مليون اصابة مات منهم عشرهم •

ونال الدكتور فريتز هابر جائزة نوبل للسلام في الكيميــاء في كانون الثاني عام ١٩٢٠ !!!•••

ومنعت كافة معاهدات السلام التي وقعت بعد الحرب : فرساي ، سان جرمان، نويي ، تريانون ، سيغر ••• استخدام « الغازات الخانقــة والسامــة وشبيهاتها » وأُدينت هذه الاسلحة ادانة كاملة بتبني بروتوكول جنيف في حزيران عام ١٩٢٥ الذي منع استخدام « الغازات الخانقة والسامة أو خلافها وكافة السوائل والمــواد والتجهيزات المماثلة » خلال الحرب •

وافقت أغلبية البلدان على بروتوكول جنيف ••• وانتظرت الولايات المتحدة انتهاء حرب فيتنام عام ١٩٧٥ كي توافق عليه • وأبدت بعض الدول كفرنساوالاتحاد السوفييتي بعض التحفظات مؤكدة ان هذا البروتوكول لا يلزمهم الا تجاه الدول التي وافقت عليه ويصبح غير ملزم تجـاه أي عدو تخرق قواته المسلحة أو قـوات حلفائه بنـود هذا البروتوكول •

وتبين ان مراقبة الاسلحة الكيميائية هو من شبه المستحيل فلذا لم يأخذ مؤتمر جنيف الا بسنع استخدامها ، وبقي انتاج هذه الاسلحة وتخزينها محظورا ، ولكن أي حظر هذا الذي لم يمنع بعض الدول من تكثيف جهودها للقيام بالابحاث حول هذه الاسلحة وانتاجها وذلك بعد فترة قصيرة من مؤتمر جنيف •

ان المشروع الاكثر أهمية والاكثر سرية في هـذا الحقل كان مشروع تومكا Tomka الذي جرى بين الحربين أي من عـام ١٩٢٨ حتى ١٩٣٣ في شيـكاني بالاتحاد السوفييتي حيث أجرت مجموعة من الكيميائيين الروس والالمان أبحاثـاً حول تطبيقات الايبريت •

هل علينا أن نرى في هذا التعاون تمهيداً للاتفاقية الالمانية ــ السوفييتية لعام ١٩٣٩ ؟•• على أي حال، عندما اكتشف الكيميائي الالماني الدكتور شرادر Schrader أول مادة سامة للاعصاب « التابون » لم يُعلم السوفييت بهذا الاكتشاف المهـم الذي هو منشأ كافة الاسلحة الكيميائية المعاصرة •

وعند بدء الحرب العالميـة الثانيـة كان لدى ألمانيـا والاتحـاد السوفييتي أكبر مخزون من الاسلحـة الكيميـائية ، ويـأتي بعدهـا بمراحـل عديـدة كل من الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا •

وامتنعت فرنسا مدة طويلة عن صنع الاسلحة الكيميائية الهجومية كي لاتكون المثل السيء باعتبارها أول دولة وقعت بروتوكون جنيف ، ولم تقرر فرنسا أن تحمي نفسها وأن تنتج من جديد أسلحة هجوميـة الا بعـد أن خرق موسوليني هـذا البروتوكول بشكل فاضح أثناء حربه مع الاثيوبيين •

ان انتاج الاسلحة الكيميائية من جديد من قبـل فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة، وموت آلاف الاثيوبيين الذين ساروا حفاة على رذاذ الايبريت ، كل هذا ساهم في خلق بعض التوازن ، ومما لا شك فيه أن القتلى الاثيوبيين ساهموا في عدم استخدام أسلحة من هذا النوع أثناء الحرب العالمية الثانية .

ففي الواقع ، لم تستخدم الاسلحة الكيميائية في الحرب العالمية الاخيرة سوى بعض أعمال لليابانيين في منشوريا ، ويمكن تفسير ذلك بسهولة اذ لم يكن هتـلر بحاجة للغازات كي يسحق بولونيا وفرنسا ، أما في نهاية الحرب فلم يسمح التفوق الجوي الحليف بأية محاولة من هذا النوع حينما كانت مدن هتلر وعاصمته وحتى مقره نفسه معرضاً للهجمات الكيميائية .

أما سبب عدم استخدام الغازات أثنـاء معركة انكلترا فغير واضح تماماً ، اذ لو أن هتلر استخدم أسلحته الكيميائية لضاعف التأثير المرعب الذي ولدته غاراته على المدن الانكليزية ، وقد يكون السبب في ذلك هو الاعتدال الذي كان يبـديه هتلر دوماً تجاه البريطانيين أو ربما خوفه من أن يخرج الاميركيون من عزلتهم .

واذا لم يستخدم هتلر الغازات في ساحـة المعارك ، فقـد استخـدم حمض السيانيدريك (زيكلون ب ٢) في معسكرات الابادة النازية لقتل ملايين المعتقلين .

واستولى الغربيون والسوفييت بعد الحرب على المخزون الالماني واستأنفوا أبحاثهم خاصة في حقل السموم العصبية والسموم المثبطة للقدرة .

تعتبر مثبطات القدرة نظرياً السلاح المثالي ، فهي معدة لوضع جنود الاعداء خارج القتال بشكل دائم دون أن يؤدي ذلك الى موتهم ، ولكن الابحاث لم تعط النتائج المرجوة ، وحسب معلوماتي ليس هناك حالياً أي مثبط قدرة يمكن اعتباره عملياتياً .

اما السموم العصبية المشتقة من السموم التي اكتشفها الالمان فهي مع الاسف جاهزة للاستخدام : « تابون ، زارين ، زومان ، وحالياً غازات V.X, V.M, V.E, V»

وأصبح كل مستحضر جديد يفوق بتأثيره المستحضر الذي سبقه بعدة مراتٍ ، ويكفي الآن أن تمسّ قطرة V.X صغيرة (بضع مليغرامات) الجلد لمدة دقيقتين ليؤدي ذلك الى الموت بعد بضع ساعات هذا اذا لم يعالج المصاب •

يكمن تأثير السموم العصبية في حصر الانتقال الطبيعي للسيالة العصبية بنهي أحد الانزيمات « الكولين استيراز » ومن أعراضها الاساسية تشوش الرؤية ، وتضيق الحدقة ، وظهور الغثيان ثم التشنجات والتقلصات حتى الموت بسبب توقف التنفس •

ويمكن معالجة المصابين بالسموم العصبية بالادوية كالاتروبين ولكن الجرعات الدوائية تكون جد حساسة بسبب اختلاف تقبل المعالجة من شخص لآخر •

تعتبر السموم العصبية من أخطر أسلحة الحرب الكيميائية قبل ظهور السموم الجرثومية (توكسين) لانها قليلة التبخر (يستمر تاثيرها في بعض الشروط لمدة بضعة أسابيع بعد نثرها) ولانها تؤثر بمقادير ضعيفة •

يتم انتاج السموم الجرثومية من الخلايا الحية (نبات ، جراثيم •••) ولايمكن اعتبارها سلاحاً كيميائياً كما انها ليست سلاحاً بيولوجياً (السلاح البيولوجي مكون من أعضاء قابلة للتكاثر) •

ومهما كانت طبيعة السموم الجرثومية ، فقد أدت سميتها ، بناء على اقتراح مندوب السويد ، الى ادراج منع تحضيرها وتصنيعها وتخزينها وذلك في اتفاقية جنيف لعام ١٩٧٢ • وكما هو الحال بالنسبة للاسلحة البيولوجية فقد وقعت كافة الدول الكبرى على هذه الاتفاقية •

منع استخدام الاسلحة الكيميائية ، اما بالنسبة للسموم الجرثومية فقد منع حتى انتاجها ولكن •••

وتتراكم الاتهامات منذ ثماني سنوات تقريباً ضد الاتحاد السوفييتي وحلفائه اللاووسيين والفيتناميين لاستخدامهم السموم الجرثومية •

ان أول شهادة دقيقة يمكن الاستناد إليها هي شهادة طيار سابق لاووسي

والذي أكد انه في عام ١٩٧٦ قام بقذف أسلحة كيميائية على قرى همونغ التي كانت تقاوم السلطات الشيوعية الجديدة التي فرضت سيطرتها على البلاد . ليس بالامكان معرفة النوعية الحقيقية للاسلحة التي قذفها الطيار ، ولكن شهادات ضحايا « الامطار الصفراء » تلاحقت بعد ذلك ، هؤلاء الضحايا الذين أصيبوا في لاووس ثم في كمبوديا حيث كان القتال دائراً بين الفيتناميين والخمار الحمر التابعين لكمبوشيا الديموقراطية .

وكانت الظاهرة الاكثر ازعاجاً وصف لفظ الأنفاس الأخيرة للضحايا الذي كانت أعراضه لا تشبه أية أعراض تسببها العناصر الكيميائية المعروفة .

وبعد مدة طويلة ، وبكثير من الصعوبات تم جمع عينات من التراب المرشوش بالمطر الاصفر ، وأرسلت هذه النماذج الى الولايات المتحدة لتحليها ، وتبين ان هذه النماذج تحوي جرعات كبيرة من « التريكوتيسين » الذي تشبه الاعراض التي تم وضعها من قبل سكان جبال همونغ والخمار الحمر .

لم يعترف السوفييت وحلفاؤهم بهذه التهم : فقد لُفقت الشهادات وزُورت النماذج .. ولكن من الصعب التصور بأن الوحدات الفيتنامية ما زودت بكمامات الغاز أثناء بعض العمليات الا لأغراض التدريب فقط ، ومن الصعب أيضاً الاقتناع بأن اذاعة هانوي قد لفقت بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٨٠ التهاني التي وجهها نائب وزير الدفاع الى سلاح الحرب الكيميائية « في الجيش الشعبي والذي نال وسام هوشي منه من الدرجة الثالثة » ، مؤكداً ان « عناصره ومقاتليه كانوا أبطالاً ويتمتعون بروح المبادهة والابتكار في المعركة » وانهم « ساهموا بالانتصار الكبير بواسطة أسلحتهم الكيميائية » .

ولم توجه الاتهامات المباشرة في أفغانستان الى حلفاء الاتحاد السوفييتي بل الى الاتحاد السوفييتي نفسه ، ولكن يبدو انه بعد عدد من الهجمات في بدء الإنزال السوفييتي فقد كبح لجام استخدام السموم الجرثومية وبعض الاسلحة الكيميائية الاخرى ، ويمكن القول بأنه توقف نهائياً ، فقد لعبت الادانات الدولية دورها .

من الصعب ألا نأتي في هذا الفصل على ذكر الاسلحة البيولوجية فأنا لا أثق كثيراً بامكانية استخدامها عملياً إذ ان الامراض المعدية معروفة بمجملها ، ورغم ان بعضاً منها غير قابل للشفاء فهناك دوماً امكانية للقاح ما .

من الممكن طبعاً اكتشاف فيروس جديد ، ومن الممكن أيضاً أن تستطيع الدولة المهاجمة تلقيح كافة رعاياها لحمايتهم من سريان المرض اليهم ، ولكننا لا نرى بوضوح الفائدة العسكرية لمثل هذا النوع من الاسلحة .

سيكون رد فعل الدول النووية شديداً اذا كان المرض المزروع في أراضيهم ماحقاً وسريع الانتشار ، خاصة وان بحارة الغواصات النووية سيكونون بمعزل عن هذه الاصابة .

أما اذا كان تأثير المرض المزروع محدوداً ، فلن يعيق بالطبع المقاتلين المحميين والملقحين ضد هذا المرض .

ورغم ما حدث في سفيردلوفسك (الاورال) حيث انتشرت جائحة الفحم في نيسان عام ١٩٧٩ نتيجة انفجار في معمل للابحاث البيولوجية الا إني لا اؤمن كثيراً بالحرب البيولوجية وأرجو ألا أكون مخطئاً .

ان ايماني أكبر بخطر حرب كيميائية ، لان الاسلحة المستخدمة في هذا النوع من النزاع هي أسهل استعمالاً ولوجود خلل كبير في التوازن بين قوى الشرق والغرب .

فمنذ الحرب العالمية الثانية والاتحاد السوفييتي ينتج شهرياً بضعة آلاف من الاطنان من هذه الاسلحة ، وحتى الآن لم يخفف من انتاجه هذا فالعديد من صواريخه أرض ــ أرض غير النووية مجهزة « برؤوس كيميائية » وربع قنابل مدفعيته على الاقل وقذائفه أرض ــ أرض لا تحوي متفجرات بل عناصر مختلفة من وسائل الحرب الكيميائية الأحدث انتاجاً .

من الصعب تقدير مجمل مخزون الاتحاد السوفييتي بدقة وانما يقدره الخبراء

بما لا يقل عن ٣٥٠٠٠٠ طن أي عشرة أضعاف المخزون الاميركي ، ومئات أضعاف المخزون الاوروبي ، وحسب المعلومات التي لدي فان المخزون الاوروبي هو صفر فليس هناك أي مخزون أو أية امكانات لانتاج سريع ، وكل ما هنالك تقنية قديمة غامضة في بعض مختبرات هذه البلاد •

فبعد انقطاع دام ثلاث عشرة سنة ، ورغم القرار الذي أخذته أميركا مجدداً باعادة انتاج الاسلحة الكيميائية بشكل محدود ، فان التفوق السوفييتي في هذا المجال يعتبر ساحقاً •

ان الرغبة باستخدام هذه الاسلحة يوماً ما تبدو من خلال عاملين :

أولاً : ان الافضلية التي يعطيها السوفييت للطائرات والمدفعية والدبابات لا تبرر الا ضمن مفهوم حرب كيميائية ، اذ من الضروري لمثل هذه الحرب وجود طائرات ومدفعية لنشر المواد السامة ، ومركبات محكمة الاغلاق ومجهزة بمصافي وذات ضغط معدل ، كالدبابات ، لاستغلال الضربات الكيميائية •

بالاضافة الى ذلك فان تنظيم الجيش الاحمر نفسه يدل دلالة واضحة على نواياه للقيام بحرب كيميائية ، فهناك وعلى كل المستويات : سرية ، فوج ، لواء ••• مجموعات أو وحدات مخصصة لهذا النوع من الحرب ، وقد عين أكثر من ١٠٠٠٠٠ رجل لهذه المهمة فقط ، كما ان جميع الافراد اختصاصيين كانوا أو غير اختصاصيين قد دربوا وجهزوا لمعركة كيميائية : مركبات مزودة بمصافي ، أقنعة ضد الغازات ، ألبسة واقية ، واقيات للرؤوس •••

وبالمقارنة مع مستوى الوقاية التي وصلت اليه الوحدات السوفييتية ، فقوات أوروبا الغربية بدأت الآن تدريجياً وقد نجحت التجهيزات الاساسية باجتياز مرحلة التجربة ، ولكنها لم تعمم بعد إلا أن التدريب لازال ضعيفاً بشكل عام •

لم يجهز الغرب أي وقاية للمدنيين اذ لا يوجد ملاجىء مجهزة بمصافي ولم توزع الاقنعة ضد الغازات كما وزعت عام ١٩٣٩ ، وهذه الاقنعة وان لم تستخدم آنئذٍ الا انها ساهمت بدون شك في جعل نشر الغازات بدون فائدة •

لم يأخذ الغرب بعين الاعتبار جدية التهديد بحرب كيميائية ولم يرصد لهـذا النوع من الحرب الا مبالغ زهيـدة •

ان التفوق السوفييتي في هذا المجال يجعل أي هجوم آخر يقومون به غـير الهجوم الكيميائي بعيد الاحتمال • فلماذا يجابهون مخاطر معركة تقليدية بحتة مع عدو يتمتع بمزايا القتال الدفاعي وأكثر غنى منهم وله تعدادهم نفسه مع أن لديهم وسيلة سهلة لبث الرعب بين صفوفه واجباره على الخضوع بسهولة ؟

ولماذا يخاطرون بهجوم نووي ولديهم ميزة قيمة تشكل نوعاً من الصراع أقل خطراً ؟؟••

لا يعتقد البعض أن تكون الحرب النووية أقل خطراً ، فهم لا يتوقعون أبـداً أي هجوم كيميائي على مسرح العمليات الاوروبي ، اذ بتقديرهم ان الخوف مـن ثأر نووي سيردع بالتأكيد أي هجوم كيميائي •

لكن مع الاسف أنا لا أشاطر هؤلاء المتفائلين الرأي ، اذ من غـير المعقول أن يقابل هجوم كيميائي على بلد غير نووي بردع نووي ، فهل يعقل أن تعرض الولايات المتحدة أو بريطانيا أو فرنسا حياة شعبها بفتح النار النـووية للرد على هجوم غـير نووي يقع على الاراضي الالمانية ؟

اما اذا وقع الهجوم على بلد نووي فسيبقى الجواب غير أكيد ، فالشك حول طبيعة الردع قادر على جعل المعتدي يتردد ، وحسب اعتقادي فان عدم تأكده مـن مستوى الثأر الذي سيلقاه سيمنعه من العدوان ، لا يمكن الاخذ بهذا الرأي الا اذا كانت ضرورات الهجوم غير حيوية •

لكن اذا أصبح نظام ما على وشك الانهيار ولا يستطيع الاستمرار الا بالحرب، ففي هذه الحالة يبدو لي جلياً ان هذا النظام سيفضل الف مرة حيرة جيدة على يقين سيء

حيرة جيدة ••• اذ من الصعب الاعتقـاد بأن أي دولـة أوروبية متوسطة

ستجازف باطلاق أسلحتها النووية على مدن دولة عظمى اذا هاجمتها بأسلحة كيميائية فقط .

وفي أي مجابهة بين الاتحاد السوفييتي وفرنسا أو المملكة المتحدة فان النووية تردع النووية والنووية فقط ولا تردع الكيميائية .

أما بمجابهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي فان النووية تردع أي هجوم اذا وقع على أرضها ولكنها لا تردع هجوماً كيميائياً على الاراضي الاوروبية .

أما بالنسبة للاتحاد السوفييتي فان الهجوم التقليدي الذي تتغلب عليه الصفة الكيميائية هو أقل خطراً عليهم من هجوم نووي ، وأكثر فعالية من هجوم تقليدي بحت .

هذا ما يجب أن تخشاه بالدرجة الاولى دول أوروبا الغربية .

الفصل الخامس

ايضاحات حول الخطر الحـالي

سيناريو لنموذج أزمــة

في حال هجوم سوفييتي مع الأخـذ بعين الاعتبـار

المعطيات العسكرية الحاليـة

واشنطن في ٨ أيـار ١٩٨

مستشار الرئيس

الى

رئيس الولايات المتحـدة

سيدي الرئيس

ليس لدى قيادة القوات الحليفة في أوروبا أية عناصر محددة يمكن أن تعلمنا عنها حول دخول القوات السوفييتية في هذه الليلة الى أراضي الجمهورية الاتحادية الالمانية ، ولكن اليكم البيان الذي أصدرته الآن وكالة تاس :

« في هـذا اليوم العصيب بالنسبة لمستقبل البشـرية ، تعلن رئاسة مجلس السوفييت الاعلى ، ان الاتحاد السوفييتي لا يمكنه أن يصم أذنيه أمام نداء بـلد شقيق وجوده مهدد بسبب مكائد مضادة للثورة تقوم بها أقلية من الارهابيين تعمل لصالح الرأسمالية الغربيـة •

لذا قررت أن يقدم الجيش الاحمر من الآن وصاعداً عونه الاداري ، والعملياتي

اذا اضطر الامر ، الى وحـدات حلفائه في حلف وارسـو المشتبكة مع العصابيات الألمـانيـة .

ويؤكد الاتحاد السوفييتي بوضوح بأنه لا يرغب بالتدخل في الحياةالسياسية الداخلية للدول الغربية ولا يـوجد أي نزاع ملموس بينه وبين الولايات المتحـدة الاميركية ، وهو يطلب فقط الغاء الاحتلال غير المقبول لبرلين ، وأن ينزع السلاح من كافة الاراضي الالمانية وأن تكون محايدة كي لا تستخدم في المستقبل كقاعـدة انطـلاق للتخريب الرأسمالي في البلاد الاشتراكية .

ويرى الاتحاد السوفييتي ان جميع هذه المسائل يمكن تسويتها بسهولة عن طريق المفاوضات ، وهو جاهز دوماً للاجتماع مع ممثلي الاطراف المعنية .

وأخيراً يتعهد الاتحاد السوفييتي مرة أخرى أمام الانسانية والتاريخ بأنه لن يكون البادىء باستخدام السلاح النووي .

رئيس الاركان المشتركـة

الى

رئيس الولايات المتحدة

طلبتم مني ياسيدي الرئيس أن ألخص لكم سير العمليات العسكرية في أوروبا، ان المعطيات الاكثر دلالة منـذ بدء الغزو السوفييتي ، وحسب رأيي الشخصي هي التاليـة :

- « ليلة ٢٢ ــ ٢٣ » : اجتازت نخبة من وحدات حلف وارسو الحدود الالمانية من عدة أماكن ، وكانت هذه الوحدات منتشرة بشكل واسع ولكنها تملـك حماية شديدة مضادة للدبابات والطائرات .

- « صباح ٢٣ » : شنت أسراب من القوى الجوية التكتيكية الحليفة الثانيـة والرابعة هجوماً معاكساً على مختلف رؤوس الجسور .

كانت خسائر الوحدات المشتبكة جسيمة، فقد خسرت بعض الوحدات ٣٠٪ من طائراتها، وكانت الصواريخ السوفييتية أرض ـ جو فعّالة جداً، خلافاً لما جرى في فيتنام حيث ظهرت فعالية المدفعية المضادة للطائرات .

لا تبدو النتائج التي حصلنا عليها حاسمة ولا يمكـن تحليلها، والمعروف ان طيارينا يلاقون صعوبات جمة في تحديد أهدافهم .

- « بعد ظهر ومساء ٢٣ » : هجمات تقليدية متبادلة على المطارات وعلى جانبي الستار الحديدي، الخسائر قليلة نوعاً ما في الجانبين بسبب متانة المنشـآت الارضية وكثافة الدفاع أرض ـ جو .
- « ليلة ٢٣ ـ ٢٤ » : تمركزت فـرق حلف الاطلسي أمـام مختلف محـاور الهجوم لقوات حلف وارسو .
- « صباح ٢٤ » : هجـوم كيميائي كثيف على فـرق حلف الاطلسي وعلى المطارات العملياتية في أوروبا الغربية عدا مطارات فرنسا وبريطانيا العظمى . سببت الهجمات السوفييتية التي شنت بكافة الوسائط (صواريخ أرض ـ أرض، طائرات، قذائف، مدفعيـة) خسائر جسيمـة مما أضعف الكفاءة العملياتية لوحداتنا البرية والجوية بشكل كبير .
- « مساء ٢٤ وليلة ٢٤ ـ ٢٥ » : هجوم عام لقوات حلف وارسو، قوات حلف الاطلسي مع قواتنا تقاوم بضراوة رغم التهديد الكيميائي الجاثم على معنويات جنودنا، فالصراع غير متكافىء في الشروط الحالية، ويقـوم الآن الجنرال القائد العام في أوروبا بتحليل الموقف وأظنـه سيطلب التكلم معكم خـلال ساعتـين .

قائد القوات الحليفة في أوروبا

الى

رئيس الولايات المتحدة

ان قوات حلف الاطلسي التي أقودها في أوروبا ، تقاتل منذ ثلاثة أيام بشجاعة تشرّف بـلاد الحلف ، وتتصدى لهجوم تقليدي وكيميائي ، وحتى الآن نحن نقوم بالرد بوسائط كلاسيكية فقط ، وتعلمون منذ أمد طويل بأن هذه الوسائط غير كافية حسب تقديري ، وبما انني لا أملك صواريخ « غير نـووية » قوية ودقيقة فأنـا لا أستطيـع التعامل مع الأنساق الثانية المعاديـة ، كما انني لا أستطيع مهاجمـة مطارات حلف وارسو الا بثمن مرتفع جداً تدفعه قواتنا الجوية . لقد كانت الخسائر جسيمة في مجمل فرقنا بسبب الهجمات الكيميائيـة ، وحتى الفرق المدرعة الاكثر حماية من غيرها فقد فقدت الكثير من فعاليتها العملياتية . لهذه الاسباب أطلب اليكم بالدرجة الاولى ارسال التعزيزات المتوفرة لديكم من رجال وعتاد وذلـك بأقصى سرعـة .

ولكن يجب أن تعلموا الحقيقة ، ستصل هذه التعزيزات متأخرة بدون شك وستكون غير كافية لانقاذنا من الغرق . لـذا أطلب اليكم وباصرار السماح لنـا باستخدام جزء على الاقل من أسلحتنا النووية التكتيكية كي نعوض النقص فـي تعدادنا ، وكي نرد بالمستوى المناسب على الهجمات الكيميائية المعادية .

وتنص عقيدتنا في استخدام قواتنا منذ عام ١٩٦٧ عـلى الانتقال من الـرد التقليـدي الى الرد النووي اعتباراً من مستوى معين للعدوان . فالهجوم الواسـع النطاق للجيش الاحمر واستخدامه للاسلحة الكيميائية بشكل كثيف ، هذه الاسلحة التي تقتل جنودنا بشروط آلام مبرحة كل هذا يظهر واقعياً ان الوقت قـد حـان لاستخدام وسائطنا النووية . فباسم كل الجنود الذين يقاتلون على الارض الاوروبية أستحلفكم يا سيدي الرئيس بأن تعطونا الوسائط لندافع عن أنفسنا .

البيت الابيض ــ المستشار

الى

رئيس الولايات المتحدة

سيدي الرئيس : هذه رسالة استلمناها الآن من الكرملـين بواسطة الخط المباشر :

« ١ ـ يذكر الاتحاد السوفييتي حكومة الولايات المتحدة بأنه ليس هنـاك أي نزاع بينه وبين الشعب الاميركي والذي يحترم تقاليده الديموقراطية.

٢ ـ يقوم الجيش الاحمر بعمليات محدودة في المانيا الاتحادية تهدف فقط الى منع أي هجوم تقوم به العصابات الالمانية على البلاد الاشتراكيـة.

٣ ـ يرغب الاتحاد السوفييتي أن يؤكد وبكل وضوح بأن أي هجوم نووي تشنه الولايات المتحدة على قوات حلف وارسو سيؤدي الى رد صاعق من قبل القوات النووية السوفييتية على جميع البلاد الاوروبية المنتسبة لحلف شمالي الأطلسي . وان أي هجوم على أراضي الاتحاد السوفييتي سيؤدي الى رد نووي على المدن الاميركية » .

★ ★ ★

سيدي الرئيس

بعد أن أجرى رئيس الاركان الدراسة التي طلبتموها فهـو يعرض عليكـم ان المعلومات المتوفرة في واشنطن تفيد أن السوفييت هم حقيقة على استعداد لشن هجوم نووي كبـير على مجمل المسرح الاوروبي ، مستخدمين ترسانتهم الكاملـة من الاسلحـة النووية .

★ ★ ★

هذه هي ياسيدي الرئيس الرسـالة التي أرسلها الينـا مستشار الجمهورية الاتحادية الالمانية ، فهي تأتي تثبيتا للمحادثة الهاتفية التي أجراها معكم صباح هذا اليـوم .

« ان الجمهورية الاتحادية الالمانية وهي تعاني من أشرس هجوم عرفه تاريخ البشرية ، وبالروح المخلصة لحلف الاطلسي ، تطلب من الولايات المتحدة :

١ ـ أن ترسل لاوروبا أكثر ما يمكن من القطعات والطائرات والاسلحة .

٢ ــ أن تضغط على الاتحاد السوفييتي بتهديده صراحة بثأر إستراتيجي على أراضيه اذا لم يكف عن عدوانه •

٣ ــ عدم استخدام الاسلحة النووية التكتيكية على مسرح العمليات الاوروبي اذ أن كثافة السكان في الجمهورية الاتحادية الالمانية لاتسمح بالبقاء على قيد الحياة إثر معركة نووية تجري على أراضيها •

★ ★ ★

سيدي الرئيس ، بناء على طلبكم استقبلت منذ قليل سفراء بريطانيا العظمى وايطاليا وفرنسا •

ترى حكومة صاحبة الجلالة انه من الضروري ابقاء النزاع محدوداً ضمن أبعاده القارية ، واذا أمكن ضمن الابعاد المحصورة بألمانيا • ويقترح عليكم رئيس الوزراء البريطاني أن تجروا مباحثات مع الاتحاد السوفييتي مع تهديده بثأر نووي محدود على أهداف عسكرية بحتة وواقعة ضمن المنطقة التي اجتيحت وضمن أراضي الدول التابعة له والمستخدمة كقاعدة انطلاق للجيش الاحمر •

أما مجلس الوزراء الايطالي فهو مقسم حالياً بين الذين يرغبون بعمل نووي فوري لوقف الهجوم السوفييتي أبعد ما يمكن عن حدودهم وبين الذين يرغبون باجراء مفاوضات مع الاتحاد السوفييتي خوفاً من خطر التصاعد• فالوزراء مجتمعون الآن بحضور رئيس الجمهورية ، ويأمل السفير أن يتمكن من تبليغكم وبسرعة الموقف الرسمي لحكومته •

وعلمت من السفير الفرنسي ان الرئيس الفرنسي قلق جداً وهو يخشى أن يجد نفسه قريباً من الخط الاول من الناحية الجغرافية ، أولا بسبب تقدم القطعات السوفييتية وثانياً بسبب مسؤولياته تجاه مجموعة المعسكر الغربي •

وتقتضي مصلحة فرنسا أن تقوم قطعات المنظمة العسكرية لحلف الأطلسي باجبار القطعات السوفييتية على التوقف في أقرب وقت ممكن وذلك بكافة الوسائط بما فيها النووية •

ويذكركم الرئيس الفرنسي بأنه اذا لم تتوقف قطعات حلف وارسو فوراً فستصبح القارة الاوروبية سوفييتية ، ويصر على أن يتلقى الاتحاد السوفييتي انذاراً نووياً من قبل أعظم دولة في العالم ، ويأمل أن تتفهم الولايات المتحدة مرة أخرى وبسرعة ان التاريخ يأمرها بالدفاع عن الحرية •

★ ★ ★

ألفت انتباهكم ياسيدي الرئيس لآخر ما نشر في صحفنا الداخلية ، فالرأي العام يتطور بسرعة : سبع صحف من عشرة اتخذت الآن موقفاً صريحاً فهي ضد أي اشتباك نووي من قبلنا في أوروبا • صحيفة واحدة فقط من عشرة ترى وجوب الانتقام لابنائنا بكافة الوسائط ، أما باقي الصحف فلم تتخذ بعد أي موقف •

ان الفكرة التي نراها تنتشر أكثر فأكثر هي ان على الدول النووية الاوروبية تحمل مسؤولياتها بالدرجة الاولى •

★ ★ ★

وفي هذه الحال يتوجب على رئيس الولايات المتحدة أن يختار بين فتح النار النووية أو عدم فتحها • وبعد التفكير نشر البلاغ التالي :

« ان الولايات المتحدة الاميركية انطلاقاً من وعيها لمسؤولياتها التاريخية ومن المثل الانسانية لمؤسسيها ، ورغبة منها بأن يتجنب سكان العالم أجمع آلاماً لا يمكن معالجتها ، تؤكد تعهدها القاطع بالوقوف سياسياً وعسكرياً الى جانب الدول الاوروبية التي غزتها القوات السوفييتية دون حق •

وهي تؤكد لكافة الدول الحليفة ان أي هجوم نووي على أراضيها سيتبعه رد نووي أميركي صاعق •

وتؤكد أيضاً ان الاعتداء الوحشي لقوات حلف وارسو واستخدام هذه القوات للاسلحة الكيميائية بشكل واسع يبرر تبرياً كاملاً الثأر النووي •

ولكنها تعتبر أن من واجب بريطانيا العظمى وفرنسا، وهما الدولتان النوويتان الوحيدتان في أوروبا، أن تقررا ذلك للاخطار الكبيرة التي ستتعرض لها شعوبها وشعوب جيرانها .

لذلك ورغبة منها بتهدئة الخواطر، قررت حكومة الولايات المتحدة سحب كل أسلحتها النووية من المسرح الاوروبي وهي تقترح على حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية الالتقاء بها على أرض محايدة للتباحث حول التعديل المحتمل المحتمل لوضع برلين وذلك بالاتصال مع كافة الفرقاء المعنيين » .

★ ★ ★

فاذا كانت القرارات الاميركية في يوم ما قريبة من هذا السيناريو فستنتقل مسؤولية فتح النار النووية الى رئيس الجمهورية الفرنسية .

★ ★ ★

السكرتير العام للرئاسة

الى

رئيس الجمهورية الفرنسية

باريس في حزيران ١٩٨

سيدي الرئيس : هذا هو رد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي والذي سلمنا إياه سفير الاتحاد السوفييتي في فرنسا :

« أخذ الاتحاد السوفييتي علماً برغبة فرنسا بالحد من العمليات العسكرية شرق حدودها .

. ويؤكد الاتحاد السوفييتي رغبته بعدم التدخل في القضايا الداخلية الفرنسية وعدم نقل الحرب الى الاراضي الفرنسية .

ان الاتحاد السوفييتي يطلب فقط تفكيك كافة الاسلحة النووية الفرنسية وتخفيض حجم الجيش الفرنسي الى المستوى الذي يناسب احتياجات فرنسا الحقيقية كدولة صديقة للاتحاد السوفييتي •

ويوضح ان هذه العمليات يجب أن تجري تحت رقابة الجيش الاحمر ، ويضيف أيضاً انه اذا سهلت السلطات الفرنسية تنفيذ ذلك فان الوجود المعلن للقطعات السوفييتية في فرنسا يمكن أن يكون لمدة قصيرة •

ويصر الاتحاد السوفييتي مؤكدا على انه في حال رفض الحكومة الفرنسية للتفاوض على هذا الاساس فسيتخذ الجيش الاحمر كافة التدابير اللازمة لضمان أمن البلاد الاشتراكية الاوروبية ، ويذكر الاتحاد السوفييتي أخيراً بأنه لن يكون البادىء باستخدام الاسلحة النووية ، ولكنه سيرد دون تردد على أي هجوم نووي غربي بوسائط أقوى وأكثر تدميراً » •

رئيس الاركان العامة للجيش

الى

رئيس الجمهورية الفرنسية

سيدي الرئيس : لقد عينتموني في هذا المنصب كي أقود القوات المسلحة الفرنسية الى المعركة منفذاً تعليمات الحكومة ، سأنفذ هذه المهمة بانضباط فكري تام ، ولكن يتضمن دوري أيضاً تقديم المشورة العسكرية لكم دون التدخل في المجال السياسي •

وأنا أتوجه اليكم اليوم بهذه الصفة وأطلب اليكم السماح بشن ضربة نووية تكتيكية ذات مدلول ، فهي الوسيلة الوحيدة حسب تقديري لاظهار تصميمنا ولاضعاف عدونا بشكل كاف لمنعه من الوصول الى حدودنا •

ففي الواقع ، ومنذ رفضكم لشروط الصلح السوفييتية كي تحافظوا على استقلال فرنسا ، ومنذ زجكم للجيش الاول فان الوضع وان كان غير سيء إلا انه

لم يتطور كما كنا نأمل • فقد توجه الفيلقان الاول والثاني نحــو مناطق الانتشار المحددة لمواجهة محور التهديد الرئيسي • ويغطي هذان الفيلقان حسب رغبتــكم أوسع جبهة ممكنة من الوجهة الفنية أي ما يقارب ١٢٠ كم ، وهما الآن على تماس مباشر مع العدو ويجابهونه بمقاومة جادة ولكنها ضمن حدود امكاناتهما ، ويستمر حالياً تقدم هذين الفيلقين بشكل طبيعي • أما بالنسبة للفيلق الثالث فقد توجه عبر بلجيكا باتجاه الخرق السوفييتي الثاني المهم ، ولكن أجنحتنا مكشوفة على محاور هجومنا المعاكس بينما تمتلك الفرق السوفييتية حرية الحركة •

لم يستطع الجيش الاول الا تغطية جبهة تتراوح بــين ١٥٠ و ٢٠٠ كم وليس هناك امكانية لتعديل هذا الوضع بأية مناورة • لذا يخشى من قيام السوفييت خلال الساعات القليلة القادمة بهجوم أو عدة هجمات رئيسية على بلادنا • ولن تتمكن فرق الجيش الاول ، على الاغلب من التصدي لذلك إذ لا يمكننا تجزئتها الى عدة أقسام كي نحافظ على فعاليتها ، كما انها ستضطر للتحرك حسب سرعة أبطأ عناصرها أي عناصرها المجنزرة •

سنقوم بالتأكيد بنقل بضعة أفواج من نخبة قوة التدخل السريع ، بواسطــة الحوامات والسكك الحديدية ، هذه الافواج التي استخدمت كثيراً للتدخل وراء البحار ، ولكن مع الاسف لا يمكن لها أن تتواجد في كل الامكنة •

تشكل الوحــدات السوفييتية المحتشدة حالياً قبل الهجوم ، أهدافاً مختارة لضربة نووية تكتيكية •

ان الخطة التي أقترحها عليكم حددت الاهداف التاليـــة لها : مراكز القيــادة الرئيسية ، مراكز الاتصالات المعادية التي عرفنا هوياتهــا ، التحشدات الرئيسيـــة للمدرعات ، وعــدد كبير من المطارات التي تستخدمها طــائرات وحوامات حلف وارسو •

لم ندخل في هذه الخطة مراكز القيادة والتجمعات الموجودة في المدن الالمانية أو القريبة منها ، وكمجموع عام هناك عدد مماثل من الاهداف شرق وغرب الستار

الحديدي • وفي حال موافقتكم سنقصف الاهـداف الاولى بطائرات الجاكـوار والميراج التابعة لسلاح الجو ، أما الاهداف الثانية فستقصف بصواريخ بلوتـون التابعة للقوى البرية • ان كافة الاهداف المقترحة هي أهداف عسكرية بحتة وتابعة فقط للقوات المعادية المشتركة مباشرة بالنزاع • وهذه الضربة هي ضربة تكتيكيـة صرفة ، ولا تتضمن هذه الخطة استخدام جزء من قواتنـا النووية الاستراتيجيـة والذي أحتفظ به كاحتياط لردع العدو عن الرد على ضربتنا بأسلحته النووية •

★ ★ ★

سيدي الرئيس : لقد رفضتم البارحة اقتراحنا بالقيام بضربة نووية تكتيكية، لست بالطبع بموقع يسمح لي بالحكم على القرار الذي اتخذتموه نتيجة اتصالاتكم المباشرة مع حلفائكم ومع السلطات السوفييتية •

ولكن من واجبي أن أقول لكم بأن القرار باشتبـاك نووي تكتيكي يفرض نفسه الآن أكثر من البارحة ، فقد تمكنت القوات السوفييتية رغم احتوائنا لها أمام مواقع فرقنا من الالتفاف حول قواتنا واجتازت الحدود الفرنسية من عدة أماكن •

لقد أدى الاستخدام الكثيف للاسلحة الكيميائية الى هلع المدنيين في المناطق المعنية ، وأخذوا يتقهقرون بفوضى تامة ، وحتى قطعاتنا نفسها رغم تدريبها ينتابها الخوف من الهجمات بالغازات والايروزول والتوكسينات (السموم الجرثوميـة) فقد فقدت هذه القطعات الكثير من فعاليتها •

منذ مرسوم كانون الثاني لعام ١٩٥٩ الذي أصدره الجنرال ديغول تستنـد السياسة العسكرية الفرنسية على الردع النووي « ردع الضعيف للقوي » وقـد وضعت جميع الخيارات الهيكلية والمالية بشكل أن تعطى الافضلية الى النووية •

وفي هذه الظروف التي دخل فيها العدو عنوة الى أراضينا ، وفي الوقت الذي تقصف فيه قطعاتنا ومطاراتنا ومـوانئنا بقسوة ، يصبح من الضـروري أن تظهروا

للفرنسيين وللعالم إن الخيار الرئيسي الذي أخذ به أسلافكم ــ والذي كنتم تؤيدونه دوماً منذ انتخابكم ــ هو خيار محق •

من الضروري أن يتلقى المعتدي « الانذار النهائي » هذا الانذار الذي كنا دوماً نتوقعه منذ ظهور أسلحتنا النووية التكتيكية في عام ١٩٧٣ ، من الضروري أن يتلقى الانذار النهائي قبل استخدام أسلحتنا الاستراتيجية لضرب المدن السوفييتية وذلك كي نبين للخصم اننا مستعدون لاستخدام كافة وسائطنا للدفاع عن استقلالنا وعن أرضنا •

ونقترح عليكم الخطة التالية ••••

« سيدي الرئيس : اليوم هو آخر يوم نستطيع فيه أن ننظم ضربة نووية تكتيكية ، فرغم كافة الاحتياطات التي اتخذناها ، والانسحاب الذي قمنا به فان التقدم السوفييتي قد بلغ درجة تجعل وسائطنا التي هي على وشك أن تزج ، غير قادرة على القيام بأي دور • فبعد الهجمات التقليدية وخاصة الكيميائية التي تعرضت لها مطاراتنا أصبحت نصف طائراتنا النووية التكتيكية غير قادرة على القيام بمهماتها ، ورغم ان أفواج صواريخنا « بلوتون » لم تتكبد الا خسائر طفيفة بسبب انتشارها الجيد الا ان مدى صواريخها الاقل من ١٠٠ كم لا تمكننا من ضرب كافة الاهداف التي نرغبها • اضافة الى ذلك ، فقد أصيبت وسائط استطلاعنا ، منذ آخر الهجمات السوفييتية ، اصابات بالغة جعلت من الصعب تحديد هوية الاهداف التي تستدعي ضربة نووية •

يا سيدي الرئيس اذا استطعنا بضربة نووية تكتيكية ، إضعاف العدو بشكل كاف فسيكون لدينا الوقت لاستدعاء جزء كبير من فرقنا الموجودة حالياً في ألمانيا وبلجيكا وسنتمكن من حماية باريس •

أما اذا رفضتم السماح لنا بفتح النار النووية التكتيكية فلن يبقى لدينا ، يا سيدي الرئيس ، الا الخيار بين الاستسلام أو استخدام قواتنا النووية الاستراتيجية •

اليوم هو آخر يوم لتقرير ضربة نووية تكتيكية ، واليوم هو فرصتنا الاخيرة بمقاومة عسكرية منظمة •

ونقترح عليكم الخطة التالية ••••

★ ★ ★

في هذا الوضع يتوجب على رئيس الجمهورية الفرنسية اختيار أحد حلين اما تطبيق العقيدة السارية المفعول حالياً ، أو عدم تطبيقها •

في حال تطبيق العقيدة السارية المفعول حالياً •

« أيها السادة : لقد وافق الآن رئيس الجمهورية على خطة الضربة التي اقترحناها ولكنه منع ضرب ثلاثة أهداف في تشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية لان هذه الضربة قد تؤدي الى خسائر جسيمة في صفوف المدنيين ، وبالتالي قد تجر تأراً عنيفاً •

سيكون تطبيق الخطة غير كامل بسبب الصعوبات التي واجهتنا في تحديد ومتابعة الاهداف شرق وغرب الستار الحديدي القديم ، ولكنه سيؤدي ولا شك الى تأثير معنوي مهم اذ سيظهر للسوفييت ارادتنا بالدفاع عن استقلالنا مهما بلغ الامر •

ان القرار الذي اتخذ اليوم هو بلا شك من أصعب القرارات في تاريخ العالم وأظن ، أيها السادة ، ان بامكاننا أن نحيي شجاعة رئيسنا ، الذي يعلم حق العلم ان قراره هذا سيؤدي الى قتل وجرح عدد كبير من الناس ليس فقط لدى الخصم بل لدى حلفائنا أيضا من ألمان وهولنديين •

حددت ساعة الضربة في •••

أرجو بالمقابل أن تتخذوا كافة التدابير الممكنة لتأمين جاهزية وسائطنا النووية الاستراتيجية اعتباراً من هذه الساعة » •

« سيدي الرئيس ، كان الرد السوفييتي قاسياً فقد وقع علينا هجوم نـووي جداً ، وتنبىء المعلومات التي بحوزتي عن خسائر محـدودة في صفوف المدنيين ، ولكن أغلب المنشآت العسكرية الثابتة قد دمرت : مراكز قيادة ، مستودعات ذخيرة، مطارات ، موانىء، مراكـز اتصالات • وبقيت فقـط المنشآت الارضية لقواتنـا النووية الاستراتيجية بفضل جودة الحماية المؤمنة لها وصلابتها ضد الضربات •

لقد ثأر السوفييت من ضربتنا التكتيكية •

وأظن أنهم كانوا مجبرين على ذلك لكي يظهروا قوتهـم ، ومن المفروض أن يكونوا الآن جاهزين للمفاوضات تجنباً للتصاعد النهائي •

يا سيدي الرئيس ، يجب ألا تذهب أرواح ضحايانا هدراً ، كما يجب ابلاغ السوفييت بوجوب انهاء غزوهم والا ستكبدهم قواتنا الاستراتيجية أضراراً مرعبة•

واذا زعموا اننا لن نجرؤ على ذلك خوفاً من أن يدمر ثأرهم فرنسا فعلينا أن نذكرهم بأن وراء فرنسا هناك بريطانيا العظمى والولايات المتحـدة ، ان الولايات المتحدة وان لم تتدخل حتى الآن فذلك لأن القصف الذي جرى على ساحة المعركة الاوروبية يشابه القصف الذي جرى في النزاعات السابقة الا انها لن تقف مكتوفة الايدي أمام فناء الامة الفرنسية •

لقد تدخل الاميركيون أثناء الحرب العالمية الاولى والثانية مع بعض التأخير، ولكن تدخلهم كان حاسماً دوماً ويمكننا أن نثـق يا سيدي الرئيس بـأن الولايات المتحدة ستقف الى جانبنا في حـالة هجوم نووي كثيف على مدننـا والسوفييت يعرفون ذلك جيداً •

★ ★ ★

في حالة عدم تطبيق العقيدة السارية المفعول حالياً :

« سيدي الرئيس : نحـن نتفهم جيداً قلقـكم وتتفهـم مخاوفكم بأن يرد السوفييت على ضربتنا النووية التكتيكية بضربة نووية كثيفة ، لذلك وبمحاولة منا كي تعودوا عن قراركم المتخذ هذا الصباح ، وكي تمنح فرنسا آخـر فرصة اقترح

عليكم خطة جديدة ولا تتضمن هذه المرة أي هدف شرق الستار الحديدي السابق • وهكذا تبرهنون للسوفييت انكم باستخدام أسلحتكم النووية الى أراضي العدو ، بل سيكون هذا حال السوفييت اذا ردوا على ضربتنا بأسلحة نووية ، واذا أخذوا رغم ذلك مثل هذا القرار فسيصبح من حقنا القيام بثأر إستراتيجي على مناطقهم ، لذلك لا أظن انهم سيجرؤون على استخدام أسلحتهم النووية •

سيدي الرئيس : ان خطة الضربة التكتيكية التي أقترحها عليكم الآن هي آخر ما يمكننا القيام به » •

« أيها السادة لقد رفض رئيس الجمهورية خطة الضربة التي اقترحناها عليه، وعلينا أن نحترم هذا القرار رغم ان بعضنا يأسف لذلك ، لقد فكر الرئيس طويلاً، واعتبر ان فتح النار النووية على الجمهورية الاتحادية الالمانية أو على تشيكوسلوفاكيا أو ألمانيا الشرقية سيزج فرنسا في اشتباك انتحاري • واتصل الرئيس مع كل من مستشار ألمانيا الاتحادية ورئيس وزراء هولاندة ، وقد عارض هذان الاثنان بشدة فتح النار النووية على أراضيهم لانهم لا يرغبون برؤيتها خراباً •

ويعتقد الرئيس مثلما نعتقد نحن استخدام أسلحتنا التكتيكية على أراضينا لن يؤدي الى خطر التصاعد ، ولكنه يرى أن أسلحتنا الحالية هي شديدة التدمير بالنسبة لشعبنا دون أن يكون لها فعالية مجدية ضد المهاجم ، وحسب رأيه فان المدة بين الحصول على المعلومات عن أماكن الاهداف وبين الاشتباك معها هي طويلة جداً نظراً لسهولة تحرك الخصم ، فلو كان لدينا أسلحة نيوترونية نرمي بها العدو رمياً مباشراً دون أن يؤدي ذلك الى خسائر فادحة بين صفوف السكان المدنيين لوافق الرئيس فوراً على استخدامها •

وأخيراً ، اطلعني الرئيس على قراره بعدم الاستسلام وبتشكيل حكومة مؤقتة في المنفى ، وهو مقتنع تمام الاقتناع بأن العالم السوفييتي سينهار يوماً وستستعيد فرنسا حريتها •

ان قتال جيوشنا سينتهي قريباً وقد عينت الجنرال ب لاجراء أول اتصال مع القيادة السوفييتية •

أشكركم أيها السادة » ••

بماذا نعتقـد ؟ . . وما الذي نخشـاه ؟ . .

أسرار التاريخ كثيرة ... فليس من الضروري أن يتوافق أي نزاع يحتمـل وقوعه خلال السنين المقبلة ، حرفيا مع القصة التي تخيلناهـا ، فالمستقبل مفتـوح أمامنا ولا يمكننا أن نؤكد على عدم وجود نهاية سعيدة تختلف عن الحرب النووية والاستعباد .

ليس لهذه القصص الخيالية أي قيمة تنبؤية ، وقد أوردناها لنتفهم فقط أخطار العقائد الحالية ، ولنوضح المسؤوليات الخاصة برئيس الجمهورية الفرنسية اذا فشل الردع لسبب ما .

يرفض البعض قبول هذه الحالة كي لا يعطوا أي أمـل لعدو رئيسي وكـي لا « يضعف الردع » . ويرفض البعض الآخر فكرة ان رئيس الجمهورية الفرنسية قد يتردد بقصف موسكو في حـال هجـوم سوفييتي غـير نووي على المقدسات الوطنيـة .

ان موقف رسل الردع الصافي والقوي مغري ولا شك من الناحية الفكريـة ومن الممكن تفهمه جيداً ولكنه مثبط للعزائم على ما أظن .

أعتقد ان العالم الشيوعي غير مستقر حالياً ، وسيترنح في يوم ما من محيطه وحتى داخله بفضل الشباب الشيوعي ، ولكن لا أحـد يستطيع التنبؤ متى سيتم ذلـك .

عندئذ ستكون السلطة السوفييتية خطـرة ، خطرة كأي وحش ضارٍ طعـن في أعماق أحشائه .

وأخشى أن يرغب الاتحاد السوفييتي بشن حرب رئيسية ، اذا رأى ان بقـاء العالم الشيوعي مهدد وذلك كي يدفع بخطر النموذج الغربي الى ما وراء البحار .

أعتقد بمصداقية القادة السوفييت عندما يؤكدون بأن الاتحاد السوفييتي لن يكون أول دولة تستخدم السلاح النووي ، فما تملكه الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا حالياً من ترسانة كافٍ لردع أي كان عن هجوم من هذه النوعية •

وأخشى أيضاً أن تصبح فجأة كافة وسائط الردع النووية لبلد كفرنسا دون أي قيمـــة نتيجة طفرة تقنية •

وأعتقد ان القادة السوفييت سيستخدمون الجيش الاحمر في الوقت المناسب أي عندما يكون تفوقه في حدّه الأقصى ، وعنـــدما تكون أخطـــار التصاعد أدنى ما يمكن •

وان كان لا بد من هجوم بعد زمن قريب أو بعيد نسبياً فسيكون هذاالهجوم تقليديـــاً وبالدرجة الاولى كيميائياً •

وأخشى أن يعجز الاوروبيون عن صد هذا الهجوم ، وقد أرهبتهم الغازات وشل قواهم الخوف النووي وهم لا يملكون أصلاً وسائط الرد المناسبة أو الدفاع المنظم ، أخشى ألا يستطيع الاوروبيون الرد الا بالاستسلام ،

••• أخشى العبوديـــة •

والاخطر من ذلك ، حسب رأيي الشخصي ، وان كان أقل احتمالا هـــو أن يقوم الاوروبيون ، سجناء عقائدهم وخطاباتهم ، بالرد على هذا الهجوم بنار نووية عشوائيـــة ••• فأنا أخشى الفنـــاء •

الجزء الثـاني

ماذا يجب أن نعمل في الحقل النوويّ

الفصل السادس

جعل الردع الاستراتيجي أقل طموحا وأكثر ضخامة

ان التسليح النووي لفرنسا يحميها حالياً ــ كما رأينا سابقاً ــ من كل هجوم نووي على أراضيها •

هل نعتبر أنفسنا مكتفين بذلك ؟ هل تحفر « العقيدة » على لوحة رخامية ونكتفي بتبديل مختلف أنواع الاسلحة كلما أصبحت قديمة ؟؟

بالطبع لا ! فالردع الاستراتيجي وان كان فعالاً جزئياً الا ان العقيدة الحالية كثيرة الطموح وغير واقعية في الوقت نفسه •

واذا لم نأخذ احتياطاتنا منذ الآن فقد تصبح الاسلحة الاستراتيجية الفرنسية متنوعة بشكل خاطىء ويخشى أن تصبح جميعها في يوم ما معرضةً للتدمير فيفقد الردع حينئذ كل قيمة •

الردع الحالي غير واقعي ، اذ من الصعب أن نصدق الضعيف اذا أكد مراراً وتكراراً بأنه سيرد بثأر نووي كثيف على أي هجوم يستهدف المحراب الوطني ، كما اننا لا نصدق مطلقا ان أي رئيس لجمهورية فرنسا سيدمر موسكو عند أول هجوم تقليدي على فوج مدرع أو سفينة حربية أو محطة رادار •

تدمير موسكو هو ضمانة لتدمير باريس ، ان تنسى ذلك يمكن أن يكون رادعاً ولكنه ليس واقعياً بالتأكيد ، وان تقتصر حججنا بالنسبة للردع على القيام بالثأر الآنف الذكر دون أن نأخذ بعين الاعتبار « رد الصاع صاعين » ودون أن نتوقع الثأر للثأر هو نوع من الاحتيال الفكري لا يمكن التسامح به مطلقاً نظراً لجدية الموضوع •

وان نعلن أيضاً ان أي رئيس فرنسي جدير بهذا المنصب عليه أن يدمر موسكو عند أول هجوم على المحراب الوطني حتى لو كان تقليديا هو زيغ ليس فقط تجاه السوفييت بل تجاه الفرنسيين أيضاً • وان نـدعي ان ديغول كان سيتصرف هـذا التصرف هو استخفاف لمذهبه العملي ونسيان أن ديغول قد جاهد دوماً لانقاذفرنسا لا لمحوها عن الخريطة •

ان التأكيد على ان التسلح النووي قادر وواجب عليه أن يردع كل شيء هو اثبات لعدم واقعية عميقة •

أن نكون واقعيين هو ان نقبل بأن للسوفييت ضروروات حيوية بمهاجمـة الغرب ، ويمكن أن يجري هذا الهجوم بالاسلحة التقليدية مبدلين بذلك ، عن وعي أو بدون وعي ، ديالـيكتيـكية الردع •

ويستطيع السوفييت أن يستبدلوا بردع « الضعيف للقوي » ردع « القـوي للضعيف » ، ويمكننا أن نشبه ردع الضعيف للقوي بولد صغـير يقول لولد أكبر منـه « لدي آلة ، فاذا اجتزت هذا الخط لتأخذ كراتي الصغيرة فسأسبب لك ألمـاً كبيراً » • أما ردع القوي للضعيف فهو الولد الكبير الذي يجيب الصغير « سآخذ كراتك الصغيرة واذا آلمتني فسأرمي بك من فوق الجسر » •

من يمكنه أن يؤكد على أن الولد الكبير لن يأخذ الكرات الصغيرة اذا أراد ذلك حقـاً ؟

اما اذا رمى الولد الكبير الولد الصغـير من فـوق الجسر مباشرة فسيسعى الصغير بكل طاقته كي يجر الكبـير معه في السقوط ، اما اذا اكتفى الكبير بأخـذ الكرات الصغيرة فهل سيستخدم الصغير آلته هذه ؟•

بالاضافة الى بُعد عقيدة الردع الفرنسية الطموحة عن الواقعية فانها خطـيرة أيضاً للويلات التي قـد تسببها للعالم فيما اذا قرر رئيس مـن الصقور وخلافـاً لكل منطق وبدون أي ادراك ، أن تتماشى أعماله مـع عقيدته وتصريحاته ، واذا نسي باريس وفرنسا والبشرية ورد على هجوم غير نووي بتدمير موسكو •

ان الخطر الاول هذا قليل الاحتمال لكنه مرعب •

اما الخطر الثاني وان كان أقل رعباً الا انه ماثل أمامنا ونشعر به منذ سنين عديدة •

هذا الخطر هو الشعور الخاطىء بالأمان استناداً للردع النووي كما نفاخربه، وهو شعور مثبط للمعنويات ويجعل الفكر العسكري متصلباً ، شعور لطيف يؤمّن راحة الضمير للسياسيين من مختلف الاتجاهات ، وهم يدلون بأصواتهم لصالح المخصصات النووية •

الردع هو الشراب السحري الذي يقوي بدون جهد ، والذي لا نحاول معرفة تركيبه خوفاً من أن نصاب بخيبة أمل ، خوفاً من أن نضطر للتفكير ، وتنزعج راحتنا الفكرية •

كل منا يشعر أن هناك مشكلة ، وما من أحد يجرؤ على الاعتراف بها •

كيف تفسر اذن مطالبة رسل الردع الاكثر تعلقاً بها ، بالدبابات والسفن والطائرات ؟ قد نجد تفسيراً نظرياً لذلك مثل « يجب اجبار الخصم على اظهار نواياه بوضوح » ولكن يبقى هناك حقيقة لا مفر منها « لو كان الردع الاستراتيجي كافياً لردع كل أشكال الهجوم لما بلغ تعداد الجيش الفرنسي أكثر من ٥٠٠ ٠٠٠ مقاتل ولا لغيت الخدمة الالزامية •

اننا نضفي على الردع عادة كثيراً من الاحترام أو كثيراً من الخزي • فللردع النووي فضائل ولكن ليس كل الفضائل •

فهو يحمي من الهجوم النووي ولكنه لا يحمي من كل أشكال الهجوم •

تفرض الحكمة الاعتراف بذلك ، وتفرض الحكمة أيضاً القول والتأكيد بهدوء لكل المعتدين : « اذا استخدمتم أسلحتكم النووية ضد أراضينا فان أسلحتنا النووية ستدمر مدنكم » • عندئذ سيصدقون ذلك •

أن نطلب المزيد من الردع النووي وأن نعتمد على نفس الاسلحة لنحمي أنفسنا من هجوم بالدبابات أو من رشقة صواريخ ميغاطونية يعني في الواقع اننا لا نحمي أنفسنا انه التمهيد لان لا يكون لدينا عند الاقتضاء الا خيار واحد : الاستسلام أو الدمار • فمن العاجل جداً أن ننزع من عقولنا فكرة ان الردع يحمي من كل شيء ، يجب أن نهيء أنفسنا لمقاومة هجوم تقليدي بوسائط تقليدية ، وهجوم كيميائي بوسائط كيميائية •

ويدعونا العقل أيضاً أن نحتفظ بقيمة الردع النووي في المجال الذي لاتناقش مزاياه فيه ، لذا يجب أن نعد تسليحاً إستراتيجياً ينسجم مع تطورات التقنية •

لدى فرنسا الآن ثلاث مركّبات نووية إستراتيجية : طائرات ميراج ــ ٤ ، وصواريخ أرض ــ أرض في هضبة « ألبيون » ، وصواريخ بحر ــ أرض محملة على غواصات نووية •

لقد نجح تطور التسليح النووي الاستراتيجي الفرنسي نجاحاً باهراً من الناحية التقنية ، فطياري الميراج ــ ٤ يعشقون هذه الطائرة ذات الخطوط النقية والامكانات البارزة في التغلغل ضمن الاراضي المعادية بفضل سرعتها على ارتفاعات منخفضة ، وبسبب وسائطها القتالية الالكترونية ، وكذلك بالنسبة للصواريخ الباليستية فضباط الرمي المختبئين تحت مئات الامتار من الصخور في « فوكلوز » Vaucluse يعتقدون جازمين بفعالية أسلحتهم بفضل مزايا صواريخهم والحماية الجيدة المؤمنة لهم وتنوع الاتصالات التي تؤمن نقل الاوامر بدقة وسرعة • وبحارة الغواصات أيضاً معجبون وبدون تحفظ بغواصاتهم وأسلحتهم وبالآلة الفائقة الجودة التي سلمت اليهم ، هذه الغواصات التي أصبحت بفضل ازدياد مدى صواريخها أقل تعرضاً للاخطار لبعدها عن الاراضي المعادية ، والتي تعمل بانتظام تام مما يجعل طاقمها يعيش بطمأنينة على بعد عدة أمتار من مفاعل نووي يولد قدرة تكفي لمدينة يبلغ تعداد سكانها ٥٠٠٠٠ نسمة •

ان السبب في وضع المركّبات الثلاث لقوة الردع قيد العمل في آن واحد رغم

ارتفاع كلفة تطويرها هو تجنب وضع « كل البيض في سلة واحدة » وكي نكون أكيدين من بقاء مركّبة واحدة على الاقل لتأمين مناوبة الردع في حال تعرض مركّبة أو مركبّتين للخطر .

أغلبية طائرات الميراج ــ ٤ ستصل الى حالة « الانقراض » في عام ١٩٨٥ وهناك اقتراحان لتبديل هذه الطائرات والحفاظ على تنوع القوى النووية الاستراتيجية . الاقتراح الاول يقضي بأن تستبدل الميراج ــ ٤ بقاذفة قنابل أخرى أحدث منها كالميراج ــ ٤٠٠٠ من انتاج شركة « مارسيل داسّو » وتجهيزها بصواريخ جو ــ أرض ذات مدى متوسط ، اما الاقتراح الثاني فيقضي بتطوير صواريخ باليستية محركة (S. X.) تنتقل على طرقات فرنسا بشكل سري للغاية وضمن شاحنات عادية ، أي بشكل عام كما لو وضعنا صواريخ هضبة « ألبيون » على عجلات .

رفض الاقتراح الاول بسبب شدة تعرض هذه الطائرات للاصابة ولثمنها المرتفع ، اما الاقتراح الثاني ــ تطوير صواريخ متحركة ــ فقد أخذ به حالياً ورغم ان الدراسات لا زالت مستمرة الا أن تمويله تآجل لحسن الحظ الى قانون البرمجة المقبل .

أقول لحسن الحظ لان العدول عن هذا الحل أمر ممكن ، كما أنه يكمن تجنب مصاريف باهظة اذا ثبت بعد تفكير عميق بأن هذه المركّبة لا تقدم شيئاً جديداً بالنسبة للوقاية من تعرض القوة الاستراتيجية للخطر ، وككل الاسلحة النووية، يمكن تدمير الصواريخ الباليستية المتحركة (S. X) سواء على الارض أو أثناء انطلاقها .

ان تعرض هذه المركّبة للاصابة وهي على الارض قليل ، هذا اذا نجح التقنيون بجعل الشاحنات حاملة الصواريخ ذات مظهر عادي جداً ، ورغم مقاييس الصاروخ الكبيرة الا انها ستكون محمية بفضل قابليتها للحركة ، فلكي ندمر المركّبة (S. X) وهي على الارض يجب معرفة أماكن كافة الشاحنات حاملة

الصواريخ ، ومعرفة ذلك إعتباراً من موسكو صعب جداً حتى لو تمكنت عناصر متسللة ارسال مثل هذه المعلومات ، ولكن ذلك سيكون أقل صعوبة من كشف مكان غواصة تسير في أواسط الاطلسي •

المشكلة لا تكمن هنا •

فالصواريخ الباليستية (S. X) معرضة للاصابة أثناء طيرانها مثلما هي الصواريخ الباليستية أرض ــ أرض المطمورة في صوامع هضبة « ألبيون » ومثلما هي الصواريخ الباليستية بحر ــ أرض التي تطلق من الغواصات النووية ، فالصواريخ الثلاثة لها نفس المحرك ــ الخارج فضائي ــ والغاطس باتجاه الهدف ، ان هذه الطريقة في الاقتراب من الهدف جد أمينة حالياً ، ولكن اذا استطاع السوفييت يوماً ما أن يجدوا نظاماً قادراً على التصدي لصواريخ ذات مِحرَك من هذا النوع، فلن يبقى أي وجود للردع النووي الفرنسي وستكون هذه المبالغ الضخمة المخصصة لتطوير المركبة الثالثة والتي لم تقدم لنا أي تنويع في المِحرَك قد صرفت هدراً •

لذا يجب أن نتساءل هل يمكننا في فرنسا تطوير شعاع موجه مختلف يسير على نوع آخر من المحارك يمنح قواتنا تنويعاً حقيقياً ؟

هذا الشعاع موجود حالياً لدى الاميركيين بشكل الصاروخ كروز الذي يطير على ارتفاع بضعة أمتار من رؤوس الاشجار أو المياه كي يحمي نفسه من الكشف الراداري المعادي ، ويمكن اطلاق هذا الصاروخ من شاحنة متحركة أو من سفن السطح أو الغواصات أو الطائرات ومن خارج الاراضي المعادية •

يندفع الصاروخ كروز بواسطة محرك نفاث وهو ذو سرعة تحت صوتية ، مداه يقارب ٢٥٠٠ كم ومصروفه للوقود قليل ، ويمكن تزويده بشحنات نووية أو تقليدية ، وشحناته التقليدية فعالة جداً بفضل دقه توجيهه ، وتستطيع قاذفة القنابل ب ــ ٥٢ أن تحمل أكثر من عشرين صاروخاً •

من الصعب اصابة الصواريخ الجوية حتى لو طارت بسرعات تحت صوتية نظراً لصغر حجمها ومقطع طيرانها الذي يجعل من الصعب كشفها •

فالحجم الصغير والتقنية المتطورة في المواد العاكسة للرادار تعطي هذه الصواريخ سطحاً رادارياً مكافئاً أصغر بمائة مرة من قاذفة قنابل تقليدية والتي يعتبر كشفها على ارتفاعات منخفضة دقيق للغاية •

من الصعب كشف الطيران على ارتفاعات منخفضة بسبب قرب الارض التي لا تسمح لموجات الرادار باختراقها ، فكي نكشف هدفاً يطير على ارتفاع منخفض يجب أن نكون فوقه أي يجب « الانارة نحو الاسفل » كما يقول الطيارون ، وهذا يتطلب وجود العديد من الهوائيات على قواعد عالية الارتفاع أي هوائيات منقولة جواً في طائرات كبيرة جداً (يجب أن تكون هذه الطائرات كبيرة كي تستطيع حمل الهوائيات الكبيرة والرادارات القوية) ، وكل هذا غير كافٍ اذ يجب أيضاً حذف الصدى الكبير الذي تعكسه الارض وعزل الاصداء الصغيرة التي تعكسها الطائرات أو الصواريخ ، وهذا ممكن نظرياً بفضل تأثير « دوبلر » Effet Doppler والعقل الالكتروني (كومبيوتر) فتحذف الصورة الرادارية للارض الثابتة وتبقى الاصداء المتحركة الاساسية ، هذه الاصداء يجب أن تكون قوية نوعاً ما كي لا تختلط بالاصداء التي تعكسها السيارات •

فمن الصعب اذن كشف الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة بالاضافة الى ان هذا النوع من الكشف مكلف للغاية ، والاميركيون فقط يستطيعون القيام بذلك بفضل نظام « الاواكس » ذو التقنية المتقدمة جداً والذي يصعب تخيل كلفة تشغيله •

أما السوفييت فلا يزالون مبتدئين في هذا المضمار •

ومن الصعب أيضاً كشف الصواريخ الصغيرة التي صممت كي يكون تأثيرها العاكس لموجات الرادار ضعيف ، أما بالنسبة للتصدي لاعداد كبيرة منها ضمن مساحات تبلغ ملايين الكيلومترات المربعة فذلك من رابع المستحيلات •

يشك بعض معارضي الصواريخ الجوية بما سبق ، مؤكدين ان السوفييت لابد وأن يحققوا يوماً ما نظاماً قادراً على التصدي لمثل هذه الصواريخ خاصة وان

الاميركيين قد نصبوا العديد من صواريخ كروز . بالطبع سيسعى السوفييت لذلك ولكن هل سيحالفهم النجاح ؟ وعلى ماذا يستند المتنبئون بأن صعوبات التصدي للصواريخ البالستية ستظل أكبر من صعوبات كشف الصواريخ الجوية مثل صواريخ كروز ؟.

فالمستقبل غير أكيد بالطبع حتى في حقل التقنية ، ولكن نستطيع ضمان الردع بصواريخ كروز في الاراضي المعادية حتى لو تم التصدي لها ، فلو تخيلنا ان هناك صاروخ كروز مجهز بشحنة نووية تم التصدي له فور تجاوزه الحدود المعادية ، فستنفجر حتما شحنته النووية عند أول صدمة من الرمايات الدفاعية ، فمن الصعب في هذه الحالة ايجاد متطوعين للرمي على صاروخ كروز ، وفي كافة الاحوال يكون الردع الاستراتيجي قد تم جزئياً على الاقل ويكون الانفجار النووي قد نفذ ضمن الأراضي المعادية .

اذا أخذنا بعين الاعتبار امكانات صواريخ كروز ، وغموض تقنيات المستقبل، فسيظهر لنا جلياً انه من مصلحة الدول المتوسطة أن يكون لديها أشعة حمل جوية الى جانب أشعة الحمل البالستية .

لا تستوجب هذه الاشعة الناقلة أو هذه الصواريخ أية وثبة تقنية لتطويرها، هذا اذا لم نكن طموحين للحصول على دقة أجود في الاصابة .

أما الاميركيون وحسب وجهة نظرهم « مضاد القوى » ورغبة منهم باستخدام رؤوس تقليدية اضافة الى الرؤوس النووية ، فقد ركبوا على هذه الصواريخ أجهزة متطورة جداً ومكلفة تستند على مبدأ المقارنة بين تضاريس الارض التي يحلق فوقها الصاروخ وبين بروز الاهداف وهذه المقارنة تمكن من تدقيق تصحيح المسار .

لكن بالنسبة لفرنسا ، كدولة تبحث فقط عن إمكانية ردع هجوم نووي على أراضيها ، ولديها أشعة حمل قادرة على نقل نار الانتقام الى العدو ، فانها لا تحتاج لمثل هذه الدقة . اذ من السهل اصابة المدن الكبيرة ولا حاجة لتقليد الاميركيين ، انه استنتاج بشع ولا شك ولكنه حقيقي .

تمتلك فرنسا امكانيات صنع صواريخ جـوية بسيطـة تطير على ارتفاعات منخفضة ، صواريخ ليست أكثر تعرضاً لخطر الاصابة من صواريخ اكزوسيت التي اشتهرت في حرب الملاوين[1] والصعوبات والاموال الواجب توظيفها لذلك أقـل بكثير مما يلزم لصنع غواصة نووية قاذفة صواريخ باليستية ذات رؤوس متعددة •

يمكن اطلاق هـذه الصواريخ من شاحنة أبسط بكثـير وأصغر من العربات اللازمة لاطلاق الصواريخ الباليستية ، كما يمكن أيضاً حملها بطائرات تطـير على مسافات بعيدة عن حدود العدو أو بسفن أو غواصات تطلقها من تحت سطح المـاء أو من فوقه • إن إطلاق هذه الصواريخ من فوق سطح الماء أسهل بكثير ولا يزيـد من امكانية اصابتها الا الشيء الضئيل ، اذ ان انوقت اللازم لاطلاقها من فوق سطح الماء قصير جـداً بحيث لايمكن العدو من القيام بأي رد فعل •

ان تنوع طرق اطلاق هذه الصواريخ ملفت النظر حقاً ، وتعتبر طريقة تقربها من الهدف أو طريقة دخولها مـن الميزات الاساسيـة لها وان كـانت ليست الميزة الوحيـدة •

ان الصواريخ المتحركة (S. X) والمقترحة حاليـاً لتكملة القوات النـووية الاستراتيجية الفرنسية هي أكثر تعرضاً للاصـابة وهي على الارض مـن صواريخ الغواصات النووية ، واحتمال اصابتها وهي منطلقة تعـادل نسبة اصابة صواريخ الغواصات النووية ، اذن فهي لا تثير الاهتمام ، واضافة الى ذلك لا تؤمن تنويعـاً واقعياً اذا طورنا مركّبات نووية إستراتيجية لها نفس طريقة التقرب من الهدف •

اذا أرادت فرنسا كأي دولة نووية أن تبقى محمية من أي هجوم نووي مفاجىء فعليها أن تكبد المعتدي ثأراً مخيفاً مهما كانت وسائط دفاعه •

وللوصول الى ذلك عليها أن تحمي نفسها من أي قفزة تقنية في مجال التصدي للصواريخ الباليستية ، ويجب بالتالي أن تباشر منذ الآن ببرنامج تصنيع لصواريخ

---

(١) الحرب التي جرت في جزر فوكلاند بين بريطانيا والارجنتين في ربيع عام ١٩٨٢ •

جوية بسيطة ، أو أن تجد مركّبة مختلفة اختلافاً تاماً عما لديها حالياً ، ويمكن تصور طرق جديدة بسهولة ، حتى اذا لم ترغب بوصفها في كتاب يتناوله الجميع •

يجب التخلي بسرعة عن برنامج الصواريخ الباليستية المتحركة فامكاناتنا المادية لا تسمح لنا بتنفيذ كل شيء دفعة واحدة •

من السرعة بمكان أن نغير رأينا •

ماذا يمكننا أن نتمنى لبقية الدول الاوروبية في المجال الاستراتيجي ؟•

يبدو لي ان السياسة التي يجب أن تتبعها المملكة المتحدة لا تختلف كثيراً عما أرغبه لفرنسا ، وتتضمن تحديد الردع بالنووية مع تنويع أكثر في المركّبات ، واذا استطاع البريطانيون تطوير نظام يختلف عن بقية الانظمة فسيكون ذلك دون شك نقطة ايجابية للردع النووي الاجمالي لدى الغرب •

وتبقى لدينا مشكلة بلاد اوروبا الغربية غير النووية ، فماذا تتمنى لهولندة وبلجيكا وألمانيا الغربية وايطاليا ؟ أمزيد من الطائرات النووية الاميركية ؟ أمزيد من الصواريخ الباليستية الاميركية ؟ أمزيد من صواريخ كروز الاميركية ؟•

لماذا ؟••

اذا قررت الولايات المتحدة الاميركية استخدام أسلحتها النووية الاستراتيجية ضد الاتحاد السوفييتي فلن تحتاج أبداً للصواريخ الاوروبية (اوروميسيل) برشنغ ــ ٢ وكروز اذ يكفيها صواريخ غواصاتها ، وبالعكس اذا رفضت الولايات المتحدة اشراك تسليحها الاستراتيجي للدفاع عن غيرها فلن تحمي البلاد الاوروبية بصورايخ بيرشينغ ــ ٢ وكروز المنصوبة على أرضها •

أما بالنسبة للصواريخ الاميركية المنصوبة في أوروبا (اوروميسيل) والتي دارت حولها كثير من الاقاويل ، والانتقادات فأخشى أن تكون هذه الصواريخ ليست دون فائدة فحسب بل أن تكون خطرة أيضا ، خطرة كالتطرف في سياسة

الردع الفرنسية ، ونشبه المظلة الاميركية في أوروبا بالشراب السحري الذي يحمي دون تعب ، الذي يلطف وينوم والذي يثبط المعنويات .

لا يمكنني أن أفهم الفائدة من صواريخ إستراتيجية معرضة للاصابة، ومنصوبة من قبل بلد ليس بحاجة لاستخدامها في أرض بلد آخر لا يملك الحق باستخدامها.

لا يمكن للنووية الاستراتيجية الا أن تكون وطنية ، إن ديغول على حق .

★ ★ ★

الفصل السابع

التخلي عن عقيدة الانذار النهائي وتبني السلاح النيوتروني

كان تبني فرنسا في بدء عام ١٩٧٠ للاسلحة النووية التكتيكية المحمولة إما على طائرات (مقاتلات تابعة للقوى الجوية) أو على صواريخ بلوتون (التابعة للقوى البرية) ضربةقاصمة لمذهب الردع الاستراتيجي ، وترك بعض الشكوك حول الرد النووي على موسكو عند أول هجوم على فرنسا حتى لو كان تقليدياً .

لم يفصح الجنرال « ديغول » عن نواياه عندما أمر بهذه الاسلحة ، ويمكننا تخمين ذلك بأنه كان يشعر ان وجود مثل هذه الاسلحة في فرنسا سيعرقل مهمة الخصم ويحسن من قيمة الردع وبالتالي يزيد من فرص المحافظة على السلام .

وأثناء بقاء الديغوليين في الحكم بعد استقالة « ديغول » ثم بعد موته ، لم تعارض الاكثرية في ذلك الوقت على وجود هذا التسليح ، ولم تنتقد المعارضة ذلك بوضوح رغم الشعور العام بالانزعاج .

وبعد أن نصبت هذه الاسلحة التكتيكية في أماكنها كان لابد من ايجاد صيغة استخدام لها ضمن إطار العقيدة العامة ، ولم يكن ذلك سهلاً اذ كان من الضروري اظهار ان الردع الاستراتيجي لا يزال المرتكز الاساسي للسياسة العسكرية الفرنسية ، وان فرنسا ستظل ترفض بحزم كل « معركة نووية » فيها تبادل متتابع للضربات رغم نصب الاسلحة التكتيكية المناسبة لساحة المعركة وقواعدها الخلفية .

نشأت عندئذ فكرة استخدام الاسلحة التكتيكية بضربة وحيدة ، لتأكيد رفض تبادل الضربات النووية . وابتكرت فكرة « الانذار النهائي » لتبرير هذه الضربة

الكثيفة : « تستخدم الذرة التكتيكية بشكل مكثف في حال تهديد يقع على الاراضي الفرنسية ، وذلك كانذار نهائي يظهر ارادة فرنسا بالمقاومة ويحـذر الخصم بـأن السلاح النووي الاستراتيجي سيستخدم دون تردد في حالة الضرورة » •

وولدت عقيدة التسلح النووي التكتيكي ولم تتبدل منذ ولادتها •

لا تستطيع الاسلحة النووية التكتيكية الفرنسية عملياً أن تساهم في ردع هجوم نووي ، فهذه الاسلحة مكدسة حالياً في مستودعات القوى البرية والجـوية ومعرضة لخطر أي هجوم مفاجىء ، وستصبح هـذه الاسلحة فـوراً غـير قابلة للاستخـدام اذا ما هـاجم السوفييت بأسلحتهـم النـووية تكتيكيـة كانت أم إستراتيجية فدورها الرادع بالنسبة لهجوم نووي ضعيف جداً ، وتبقى الأسلحـة النووية الاستراتيجية وحدها التي تحمي من هجوم نووي •

أما عقيدة « الانـذار النهائي » التي تنص على استخدام الاسلحـة النووية التكتيكية بضـربة وحيدة قبل إستخدام الاسلحة الاستراتيجية ، فلا تفيد بردع هجوم نووي حتى التكتيكي منه وتسمح فقط بالرد على هجوم تقليدي أو كيميائي •

سنكون في وضع جيد لو كان ذلك صحيحـاً فالنـووية الاستراتيجية تردع النووية ، والنووية التكتيكية تردع الهجوم التقليدي ، ولكن مع الأسف هذا ليس صحيحاً فعقيدة « الانذار النهائي » الفرنسية غير مفيدة وغير مجدية وخطرة فـي الوقت نفسه •

غير مفيدة ، لاننا اذا أردنا أن نعلن إنذارنا فيمكننا القيام بذلـك بسـلاح إستراتيجي لا تقل جدواه عن جدوى رشقة كبيرة ، وسيكون تحذيرنا واضحاً اذا أجرينا ضربة على بعد عدة كيلومترات من لينينغراد أو أوديسا وأقل تدميراً مـن ضربة تكتيكية في ألمانيا الغربية أو ألمانيا الشرقية أو بولونيا •

غير مجدية أيضاً لأن عقيدة « الانذار النهائي » وضعت لتجنب أيـة معركة نووية يتم فيها تبادل الضربات ، ولأنها بنيت على مبدأ الضربة الوحيدة غير المجدية عملياتياً •

فاذا كان أمامنا عدو متحرك ، فعلينا بطبيعة الحال التعامل مع الأهداف فور رؤيتها أو بعد بضع ثوان أو دقائق لا أكثر وهي المدة بين الحصول على المعلومات عن الأهداف وبدء التعامل معها ، والا يكون العدو قد رحل وبدّل مكانه • بينما يلزمنا في الواقع بضع ساعات كي نحضر الخطة ونأخذ الموافقة عليها ثم ننفذها ، فمن غير الممكن اذن تنظيم ضربة تكتيكية على أهداف متحركة ، أما إذا نفذنا ذلك في يوم من الأيام كي نبرر نظرية مبهمة فلن نحطم الا « الحصى » أو مدنيين لا ناقة لهم ولا جمل أصدقاء كانوا أم أعداء •

رأينا ان ضربة « الانذار النهائي » الشهيرة غير مجدية ضد أهداف متحركة فهل هي مجدية ضد الأهداف الثابتة ؟•

لا يمكننا تعيين أهداف ثابتة تصلح لسلاح نووي كصواريخ بلوتون التابعة للقوى البرية وذلك لان مداها لا يسمح بذلك (٩٠ كم) ، يمكن تعيين بعض الجسور ، ولكن نظراً لوسائط العبور الهائلة التي يملكها السوفييت سيعاد بناء هذه الجسور بسرعة ، أما بالنسبة لطائرات جاكوار ، وميراج فرغم أن نصف قطر عملها والبالغ بضع مئات من الكيلومترات يسمح لها بالتعامل مع أهداف على عمق أكبر وعلى الاخص شرق الستار الحديدي إلا أن هذه الأهداف الهامة ستكون محمية وستجد هذه الطائرات صعوبات كبيرة عند الاقتراب منها وقد تتحمل خسائر فادحة مع نتائج غير مضمونة ، ونظراً لتعدد المطارات الكبيرة المستخدمة في أوروبا الشرقية وسرعة انتشار القوات السوفييتية الجوية فمن الصعب معرفة متى ستستخدم هذه المطارات فعلاً •

وكي نحصل على بعض الفائدة من ضربة نووية تكتيكية يجب انتظار ظهور الصاروخ « هاديس » (Hadés) أرض — أرض والتابع للقوات البرية وذو مدى ٣٠٠ كم ، اضافة الى ان امكانية اصابته طفيفة جداً •

يمكن لهذا الصاروخ أن يحل جزئياً محل الطائرات وأن يضرب بفعالية بعض الاهداف الثابتة في أوروبا الشرقية ولكن ستبقى هذه الفعالية غير كافية لتبرير عقيدة غير مفيدة وخطرة •

يتجاوز خطر العقيدة الحالية في استخدام الاسلحة النووية التكتيكية حدود المعقول وهي قد تعطي باديء ذي بدء الى رئيس الجمهورية الشعور بأنه اذا سمح بهذه الضربة يكون قد اتخذ قراراً مغايراً قادراً أن يُبعد عن البلاد الدمار الذي سينتج عن رد إستراتيجي أو العبودية الناجمة عن عدم ردّ نووي • ولكن اتخاذ مثل هذا القرار في الواقع سيدنيه من الخطرين في الوقت نفسه ؛ سيدنيه من الدمار، لأن رد فعل الخصم سيكون هائلاً ، وسيدنّيه من العبودية ، لأن قراره بفتح النار النووية حتى لو كانت تكتيكية سيجعل العالم كله يرتجف هلعاً ولن يجد أي حليف يدعمه ويساعده في صراعه مع العدو •

يعتبر فتح النار النووية بنظر جزء كبير من العالم انغماساً بالخطأ ، وان نرد على هجوم تقليدي بضربة نووية على أراضي المعتدي أو أراضي حلفائه هو في الواقع جعل المعتدي يبدو وكأنه الضحية • هل يبدو هذا العمل معقولا من قبل دولة متوسطة تجاه دولة عظمى ؟•

والعقيدة هذه خطرة أيضاً بمبدئها نفسه ، أي القيام بضربة وحيدة تجنباًلمعركة نووية ولأي تصاعد متدرج ، ولكن النتيجة ستكون مذهلة : فخوفاً من إطلاق بعض القنابل والصواريخ ثم بعض القنابل والصواريخ ، وأيضاً بعض القنابل والصواريخ فاننا نطلقها جميعها ودفعة واحدة كما لو أن الرد سيكون قليلاً والخطر محدوداً •

إن ذلك ليدعو للعويل •

يجب أن نرفض عقيدة « الانذار النهائي » لأنها غير مفيدة وغير مجدية وخطرة • وقبل البحث عن عقيدة أخرى ، يجب تحليل فوائد الاسلحة النووية التكتيكية الحالية والمستقبلية •

تعادل الأسلحة الحالية قنبلة هيروشيما ، وهي قادرة على تدمير مدن تبعد عدة كيلو مترات عن مكان الانفجار ، ولكن فعاليتها قليلة ضد الاشخاص الملتجئين،

فسدفة الدبابات مثلاً ، الملتجئون ضمن دروعهم لا يتعرضون للخطر الا على بعـد بضع مئات من الامتار من نقطة الصفر •

وبقليل من الدراسة الموضوعية نستطيع التأكيد على الأسلحة النووية التكتيكية الحالية تقتل الكثير من المدنيين والقليل من العسكريين •

ففي حالة هجـوم سوفييتي على أوروبا الغربية ، فإن مجال استخدام هـذه الأسلحة ، نظراً لمداها ، يمتد فقط من بولونيا وحتى المحيط الاطلسي •

ان استخدام هذه الاسلحة في هـذه المنطقة المكتظة بالسكان يعني اغتيـال عشرات أو مئات من المدنيين مقابل عسكري واحد •

غالباً ما كان يرد على هذا الاستنهاج بأن « هذه الاسلحة هي أسلحة سياسية ولا أهمية لفعاليتها العسكرية » • عجيب هذا التفكير وهو غير مقبول بالنسبة لي فرجال السياسة وان كانوا جدليين لامعين فهم ليسوا سحرة ولا أرى كيف يستطيعون اعطاء وزن سياسي لتسلح غير قابل للاستخدام •

هل من الضروري اذن أن ندفن نهائياً كافة الاسلحة التكتيكية النووية ؟•• لا أعتقـد ذلك •

فإلى جانب الأسلحة التكتيكية التقليدية هناك حالياً الأسلحة النيوترونية والتي من ميزاتها الأساسية إرسال دفق من النيوترونات لا تتـأثر بالدروع ، وتأثـيرها الميكانيكي والحراري محـدود ، ان هـذه الاسلحة تستطيع قتل المهاجمين حتى المحميين منهم دون أن تلحق أضراراً جانبية أساسية بالمدن والقرى المجاورة •

تعتبر الاسلحة النيوترونية أسلحة دفاعية حقيقية ، ولكن هذه الاسلحة التي تقتل من العسكرين أكثر مما تقتله من المدنيين ، وتقتل من المهاجمين أكثر مما تقتله من الأصدقاء تصنّف في أكثر الأحيان مع أسلحة الرعب ، وتبدو ظاهرياً قاسية من غير ذي طائل فهي تقتل الرجال تاركة أسلحتهم سليمة ،وكنا نتمنى بالتأكيد أن تستطيع فعل العكس ولكن لا يمكن تحقيق ذلك لان الانسان أكثر هشاشة من الدبابة• أما

المهم بالنسبة لنا فهو أن يكون لهذه الاسلحة تأثير ردع حقيقي ، وأن تؤمــن للبلد الذي يملكها وسائط كافية ليدافع عن نفسه بشكلٍ مجدٍ مــع الحد من أخطــار التصاعد والاضرار .

ان الاسلحة النيوترونية أقل تدمــيراً من بقيــة الأسلحة النووية وكي تصبح سلاح ردع فعال يجب أن تكون دقيقة جداً وان تنفجر في الهدف الذي اخترنــاه، وهذا ليس سهلاً كما يبدو لنا .

هناك طريقتان لاصابة هدف متحرك ، إما بالرمي المباشر ، مستخدمين أسلحة ذات مدى قصير ، أو بالصواريخ الموجهة .

ففي الحالة الاولى يتابع الرامي الهــدف حتى آخر لحظة ولا يستطيع هــذا الهدف التخلص من دائرة تأثير السلاح لقصر المسافة ، أما في الحالة الثانية فيطلــق الصاروخ بعيداً عن الهدف دون أن يعلم الرامي مكانه بالتقريب وتكون المرحــلة النهائية من مسار الصاروخ موجهة (بواسطة أشعة ليزر مثلاً) من قبــل أشخاص يرون الهدف المتحرك ، ان الحل الأخير بالطبع أكثر كلفــة من الحل الأول ويتطلب شبكة إتصالات قد تشوش أثناء الحرب .

علينا أن نتجنب بشكل أساسي وضع سلاح نيوتروني على صاروخ غير موجه وبعيد المدى ، بيد ان هذا ما خطط له حالياً بالنسبة للقنابل النيوترونية الفرنسيــة المقبلة ، اذ من المتوقع أن توضع على صواريخ « هاديس » غير الموجهة (مــدى ٣٠٠ كم) والتي ستخلف صواريخ بلوتون .

يجب أن نكذب الاعتقاد الراسخ في أذهاننــا « ان المستحضر الأجود هــو مستحضر غالي الثمن » ، ستكون تكاليف النظام المقترح مرتفعة دوماً أن تكون له تلك الفعالية المرجوة منه ، اذ لا يمكن استخدامه بشكل مجد ضد الاهداف الثابتة لأن الاسلحة النيوترونية بطبيعتها لا تلحق أضراراً بالبنية الاقتصادية ، ولا يمكــن استخدامه أيضاً ضد الاهداف المتحركة لأن الهدف سيخرج حتماً من منطقة تأثــير

السلاح خلال الدقائق التي سيستغرقها طيران الصاروخ ، إضافة الى الصعوبات التي يلاقيها الرامي لحظة الاطلاق لتحديد مكان هدف متحرك بدقة .

الحل المنطقي اذن ، أن نضع السلاح النيوتروني المستقبلي على قذّافات ذات مدى قصير أو راجمات صواريخ ذات مدى من ١٠ ــ ١٢ كم كحد أعظمي في حالة الرمي المباشر على الدبابة مثلاً . لقد رفض هذا الحل حالياً لأسباب عديدة ، إذ يصعب من الناحية التقنية بالدرجة الاولى وضع سلاح ذو تقنية متقدمة على قذّاف بسيط كراجمة صواريخ ، كما لا يتناسب هذا الحل مع المفهوم الحالي لاستخدام ضربة « الانذار العلني » التي تشمل مئات الكيلومترات اعتباراً من خط الجبهة وحتى قواعد الانطلاق المعادية ، وأخيراً يتطلب استخدام هذا السلاح لمسافات قصيرة توزيعه على مستوى الوحدات التي هي على تماس مباشر مع العدو ، وهذا يعارض مبدأ مركزية المراقبة لجميع الاسلحة النووية .

لا قيمة فعلية للسبب النفسي فاذا كانت كلفة القذاف أقل من كلفة السلاح فهذه ميزة إذ ان المهم في الموضوع هو الفعالية . ولا يمكن أيضاً الأخذ بالسبب الثاني لان المفهوم الحالي « للانذار النهائي » لم يعد معقولاً فلا بأس اذن إن لم نحافظ عليه .

أما السبب الثالث فهو أكثر جدية ، فمن الضروري أن تكون مراقبة الحكومة للاسلحة النووية كاملة وشاملة وبشروط جيدة كما هي موجودة حالياً ، فلا يسمح لأي عسكري استخدام السلاح النووي إستراتيجياً كان أم تعبوياً دون أمر مسبق من رئيس الجمهورية الذي يملك سلطة اتخاذ القرار باستخدامها والموافقة على اختيار الأهداف .

من الطبيعي أن يرتبط قرار استخدام كافة الاسلحة النووية واختيار الاهداف الاستراتيجية برئيس الدولة وحده ، ولكن قد تكون هذه الضرورة ضارة بالنسبة لتفاصيل الضربة التكتيكية ، فاذا كان القرار باستخدام السلاح النيوتروني وتحديد الاطار الجغرافي يعود لرئيس الدولة فمن الطبيعي أن يسمح رئيس الدولة للمنفذين بتقرير الرماية المناسبة واختيار زمانها ومكانها بحرية .

من الطبيعي اذن استخدام الاسلحة النيوترونية بالقذ"افات ذات المدى القصير وتوزيعها بشكل واسع على الوحدات المقاتلة ، وبفضل امكانات « الحل الانتقائي للرموز الاصطلاحية » في علبة أمان هذه الاسلحة سيحتفظ رئيس الجمهورية على الأقل بسلطة السماح باطلاق ١٠ أو ٥٠ صاروخاً أو كامل الاسلحة المتوفرة ٠

قد يكون السلاح النووي التكتيكي المستخدم حالياً في فرنسا المسبب الأساسي للتصاعد الأشد فتكاً منذ غابر الأزمان حتى الآن، والذي يمكن أن تتسلسل حوادثه كما يلي : « هجوم سوفييتي مع استخدام كثيف للاسلحة الكيميائية ، الاحاطة بقوات حلف شمالي الاطلسي ، رفض أميركي لفتح النار النووية ، هجوم معاكس فرنسي غير حاكم ، ضربة نووية تكتيكية فرنسية بشكل انذار نهائي ، خسائر جسيمة في صفوف مدنيي أوروبا الشرقية ، رد نووي سوفييتي ، ثأر إستراتيجي فرنسي ، و ٠٠٠ ؟ » ٠

اذا لم تتبدل العقيدة العسكرية الفرنسية والأسلحة المناسبة لها ، فلن يكون من السهل تجنب تصاعد من هذا النوع بعد هجوم سوفييتي ، وهل يستطيع رئيس الجمهورية الفرنسية أي كان مقاومة ضغوط أصحاب نظرية الضربة التكتيكية ؟٠٠

من الافضل اذن تغيير هذه العقيدة ، وتزويد فرنسا بأسلحة دفاعية فعالة ورادعة كالاسلحة النيوترونية ٠

واذا بدا لنا ضرورة تزويد الجيش الفرنسي بأسلحة نيوترونية قليلة التدمير، ومحمولة على أشعة ناقلة بسيطة تؤمن الرمي المباشر على المعتدين ، فماذا نقترح في هذا المجال لبقية الدول الاوروبية ؟٠٠

لا تستطيع الاسلحة النيوترونية لوحدها ، مثلها مثل الاسلحة الاستراتيجية، حل كل المشاكل ، ولكنها وحسب رأيي الشخصي تعتبر الاسلحة الدفاعية الاساسية بالنسبة لأوروبا المكتظة بالمدن ، وستكون مفيدة لاوروبا كما هي مفيدة لفرنسا اذا استخدمت فقط بالمفهوم الدفاعي ٠

كل زيادة في عدد الاسلحة النووية تؤدي بالطبع الى خطورة ، ولكنني لاأعتقد أن لدى البلاد الأوروبية أي روح هجومية ، ولا أظن أن هناك من سيشعر بالضيق اذا تواجدت أسلحة نيوترونية في هولاندة مثلاً ، أسلحة نيوترونية ذات مدى قصير يقوم على خدمتها جنود هولانديون ، ان ذلك لأقل خطراً من الصورايخ الاميركية المنصوبة في أوروبا (أوروميسيل) •

واذا أرادت دولة عظمى اجتياح دولة مزودة بأسلحة نيوترونية ففي ذلك مجازفة أكبر من اجتياح أراضٍ تدافع عنها أسلحة تقليدية فقط ، فأنا أتمنى من كل قلبي أن تتزود البلاد الاوروبية بهذه الاسلحة •

كل البلاد الاوروبية ؟••• بالطبع لا ، اذ ان واقع الحال يدعونا لمعالجة موضوع جمهورية ألمانيا الاتحادية بشكل منفصل ، فقد تعهد الالمان الغربيون المنفصلون عن مواطنيهم الشرقيين بالستار الحديدي ، بعدم تزويد أنفسهم بأسلحة نووية ، لذا يجب احترام هذا القرار والاعتراف بأن على الاميركيين مسؤوليات خاصة بالدفاع عن جمهورية ألمانيا الاتحادية وذلك منذ اتفاقيتي يالطا ، وبوتسدام • ويجب الاعتراف أيضاً بأن الأسلحة التكتيكية الاميركية المكلّفة باقامة التوازن مع مثيلاتها في حلف وارسو لا يمكن أن يقوم على خدمتها جنود ألمان ، ولكن يبدو لي في جميع الأحوال ان للحكومة الالمانية الحق بابداء الرأي حول استخدام الاسلحة النووية المتمركزة على أراضيها •

★ ★ ★

الفصل الثامن

تطبيق قاعدة : لا فتح للنار النووية خارج أرضنا

اذا كانت الحرب هي الشر فالحرب النووية هي الشر المطلق .

أعترف وبكل صراحة بعدم تمكني من فهم أشخاص عاقلين يؤكدون « كـل الحروب بشعة فلا فرق بين طبيعة الحرب التقليدية وطبيعة الحرب النووية » ، فأنا أفضل لابنتي أن يكون لها تسع فرص للنجاة من أن يكـون لها فرصة واحدة ... أو أن لا يكون لها أية فرصة .

من الجلي أن قهر الحرب هو بالدرجة الاولى قهر الحرب النووية .

كيف ؟؟..

لقد بحث كثير من الناس في أوروبا والولايات المتحدة ، في الشرق والغرب ، دعـاة سلام ، ورجال كنيسة ، ودبلوماسيون ، وكتّاب ، وصحفيون ، الكثيرون بحثوا ، والكثيرون اقترحوا ، والكثيرون تعهدوا ... فقد كانوا على حق .

والشيء الأساسي هـو ألا نكون فاتري الهمة ، والشيء الأساسي أن نبحث دون كلل كي يكون لدينا الأمل بأن نجد طريقنا .

يجب أن نشعر بالامتنان نحو دعـاة السلام لانهم يبحثون على السلم النووي ولأنهم يبحثون عن السلم ، يجب أن نشعر نحوهم بالامتنان لانهم يفضحون ازدياد التسلح العالمي ، ولانهم لا يقفون مكتوفي الايدي أمام التهديد الذي يتزايد يومـاً بعد يوم . نحن نأسف بالطبع لفقدانهم الواقعية ، ولمواقفهم التي غالباً ما تكـون وحيدة الاتجاه وتتسم بالسلبية وتثبيط المعنويات ، ونتمنى أن نذكرهم بأن الخراف

تجذب الاطماع أكثر من الكبوش ، ولكنني أجدهم بشكل عام أقل خطراً من دعاة الحرب المصرين على الخطأ والمتغنّين بالردع الآنف الذكر •

إن دعاة السلام يخدمون السلام لانهم يحثون الرجال المسؤولين على التفكير، ومن بين الذين يخدمون السلام أيضاً ، المبشرون والاساقفة على جانبي المحيط الأطلسي فهم يفكرون ويقترحون ويوصّون •

تختلف هذه التوصيات بالطبع ، وكم هي غنية اقتراحاتهم •

تتخذ الكنيسة البروتستانتينية موقفاً حازماً فقد أعلنت اللجنة المركزية لمجلس الكنائس المللي في تموز عام ١٩٨٢ ما يلي : « يجب رفض فكرة الردع لانها غير مقبولة أدبياً ، ولانها غير قادرة على المحافظة على السلام لمدة طويلة ، وان انتاج وانتشار الاسلحة النووية بالاضافة الى استخدامها هو بمثابة جريمة ترتكب بحق البشرية » •

وكان الاعلان الكاثوليكي مختلفاً قليلاً عن هذا الموقف المتطرف فلم تدن توجيهات المجمع الفاتيكاني الثاني انتاج واستخدام الاسلحة النووية بالقسوة نفسها ولكنها كانت واضحة وجلية : « كل عمل حربي يهدف الى تدمير مدن كاملة أو مناطق شاسعة مع سكانها بدون تفريق ، هو عمل اجرامي ضد الله وضد الانسان ويجب ادانته دون تردد » •

أما الأساقفة الاميركيون فكانوا أكثر دقة عندما أثنوا على السياسة الواضحة بعدم فتح النار النووية : « لا يمكن تبرير المبادهة بشن حرب نووية مهما كانت الأسباب ، ويجب مقاومة الهجمات غير النووية التي تشنها دولة على دولة أخرى بوسائط غير نووية » •

ترددت أقوال كثيرة حول تراجع الاساقفة الفرنسيين عن المواقف المتخذة من قبل زملائهم في ما وراء الاطلسي ، فقد أرادوا أن تكون وثيقتهم « كسب السلام المعلنة في تشرين الثاني عام ١٩٨٣ أكثر واقعية ، فهي تسمي صراحة الذئب

(أو بالاحرى الدب) ولا تخشى أن تعترف « تستطيع الامم بشكل شرعي أن تجهز دفاعاً يردع المعتدين حتى بتهديد معاكس نووي » • وربما أخطأ المعلقون على ذلك باعتقادهم أن الأساقفة قبلوا بطيب خاطر كافة تطبيقات الردع النووي ، وتظهر بعض مقاطع النص التالي ان التزامهم ليس كاملاً : « لا يمكن اعتبار التهديد إستخداماً، وغالباً ما تتناسى قاعدة الردع ذلك عندما نلصق بالتهديد نفس الخصائص الأدبية للاستخدام » • « ونحن نرى بوضوح الخطر في منطق الردع ، وحتى لا تترك للمعتدي أي شك في واقعية دفاعنا يجب أن نظهر بمظهر المصمم على الانتقال الى مرحلة التنفيذ اذا فشل الردع » •

« إن الشرعية الأدبية للانتقال الى مرحلة التنفيذ شكلية أكثر مما يلزم ، اذ ان ردعنا في فرنسا — ردع الضعيف للقوي — ردع الفقير للغني ، يستند بوضوح الى الاستراتيجية الآنفة الذكر •• •والمدانة من قبل الجسيع » •

وهكذا نرى اننا بعيدون جداً عن الموافقة الواضحة على العقيدة النووية الفرنسية •

علينا أن ندرس فكرة البابا يوحنا بولص الثاني ، ويبدو لي انه من الممكن تلخيصها برسالته المؤرخة في ٨ كانون الاول ١٩٨١ والمرسلة بمناسبة اليوم العالمي « الخامس والعشرين للسلام » : « من حق الشعوب بل من واجبهم حماية وجودهم وحرياتهم من أي اعتداء غير عادل بكافة الوسائط المناسبة » •

لا يبدو لي مطلقا أنه من المناسب الرد على هجوم تقليدي بتدمير مدن المعتدي ، ويبدو لي أيضاً ان الكاثوليكي الاول يعارض هذا النوع من الردع كما يعارض الدعوة المطلقة الى السلام •

لم ينحصر الصراع ضد الحرب النووية بدعاة السلام ورجال الدين فهناك الكثير من الرجال شغفوا بهذه المعركة المصيرية وان لم يضعوا صيغة واضحة لتأملاتهم لا يمكنني ذكر أسمائهم كلهم وسأكتفي بذكر المؤلفين الاربعة لمقال نشر في ربيع عام ١٩٨٢ في مجلة اميركية معتدلة « الشؤون الخارجية » وأحدث ضجة مدوية في الاوساط الغربية المختصة بالشؤون الدولية وشؤون الدفاع •

لم يكن مغزى هذا المقال مقبولاً لدى العديد من القراء رغم ان تعابيره كانت حذرة ومعتدلة • فقد رفض المعلقون اقتراح الملفين بمنع استخدام الاسلحة النووية الاميركية « بالدرجة الاولى » أي أن تستخدم لغرض غير الرد على هجوم نووي •

أدت فكرة عدم البدء باستخدام السلاح النووي « لن نكون أول من يستخدمها » (No First Use) الى فضيحة مدوية اذ ان المؤلفين الاربعة كانوا من أصحاب المناصب العالية في الادارة الاميركية ومن بينهم « روبرت ماكنمارا » الذي شغل لمدة طويلة منصب وزير الدفاع أثناء ولاية « جون•ف•كندي » والذي دعا لعقيدة « الردّ المرن » هذه العقيدة التي تنص على استخدام النار النووية التكتيكية أولاً ثم اذا لزم الامر النار الاستراتيجية ، للرد على كل هجوم ناجح لقوات الجيش الأحمر حتى لو كان هذا الهجوم تقليدياً •

أدت هذه الفكرة الى فضيحة إذن ، عالَم " غريب " هذا الذي يهان فيه رجال لا يهابون تبديل آرائهم ، رجال يقترحون فقط ان « الوقت قد حان لدراسة الامكانات والمتطلبات والصعوبات والميزات » لسياسة تمتنع بموجبها حكوماتهم عن فتح النار النووية ، سياسة لا يمكن بموجبها اجتياز درجة أساسية من درجات التصاعد الا في بلد ديكتاتوري ، لا في بلد ديموقراطي •

أشاطر مؤلفي المقال المنشور في « الشؤون الخارجية » الرأي بأن الابعاد الهائلة للترسانة الذرية الموجودة في الشرق والغرب تجعل احتمال نشوب حرب نووية أمراً مرعباً •

ولكن هل العقيدة التي يبشرون بها صحيحة ؟••• وهل ما يبشر به دعاة السلام أفضل ؟••

عندما نحلل الافكار المطروحة هادفين من وراء ذلك إبعاد خطر نزاع نووي فاننا نلاحظ انها تدور حول نوعين من الاقتراحات :

إما أن نمنع ببساطة وبشكل كامل الحرب النووية مع منع تصنيع وتخزين أي شكل من أشكال الاسلحة النووية ، أو أن نمنع فتح النار النووية مع السماح

بالرد بأسلحة نووية على أي هجوم نووي ، وهذا المنع يسمح بشكل خاص بتصنيع وتجربة الاسلحة النووية .

ان الاقتراح الاول هو الافضل بالطبع (اقتراح أغلبية دعاة السلام وعدد كبير من البروتستانت) هذا اذا أمكن تأمين القليل من المراقبة ، اذ من السهل بدون رقابة أن نصنع الاسلحة الممنوعة وأن نجهز أنفسنا سراً للسيطرة على العالم ، ولكن من الصعب في وضعنا الحالي بل من الصعب جداً وضع رقابة فعالة بالنسبة لدولة مغلقة كالاتحاد السوفييتي .

أما الاقتراح الثاني (اقتراح الاساقفة الاميركيين ومؤلفي مقال الشؤون الخارجية) فهو أكثر واقعية وفائدة اذا أخذ به واذا أصبح قاعدة للحقوق الدولية ولمعطيات سياسية تعترف بها الحكومات والرأي العام ، وسمنع هذا الاقتراح دون شك الحرب النووية ، اذ ليس لدى السوفييت ، كما رأينا سابقاً ، أي سبب لشن حرب من هذا النوع ، كما سيمتنع الغربيون بموجب هذه العقيدة من الرد بأسلحة نووية على هجوم تقليدي .

واذا أخذت هذه القاعدة شكلها الرسمي نكون قد حققنا تقدماً أساسياً لوضعنا الحالي حيث لا تحديد لحق استخدام الاسلحة النووية . ويمكن اعتبار ان قاعدة المنع الكلي لفتح النار النووية « لن تكون أول من يستخدمها » ناقصة وان كافة الانتقادات التي وجهت لها تستند الى أسس سليمة . ومن الواضح بشكل خاص ان السوفييت يملكون حالياً ترسانة ضخمة من الاسلحة التقليدية والكيميائية تسمح لهم بمهاجمة أوروبا الغربية ، عندما يتأكدون من عدم وجود أي ردع كان ومن أنهم يستطيعون شن هجوم تقليدي دون التعرض لثأر نووي .

اذن ماذا يمكننا أن نفعل ؟.. وماذا يجب أن نفعل ؟... كيف يمكننا أن نجابه التفوق السوفييتي في الاسلحة التقليدية والكيميائية دون أن نعرض عشرات الملايين من الاوروبيين للقتل وربما مليارات البشر ؟

فجواباً على هذا السؤال المصيري لا أرى إلا رداً واحداً : البحث عن « رد

مناسب » ضمن روح مقالة البابا يوحنا ـــ بولص الثاني ، يجب الامتنــاع عن رد نووي على هجوم غير نووي ، ولكن بالمقابل فليس هناك أي سبب يمنعنا من الدفاع عن أنفسنا بكافة الوسائط المتوفرة لدينا بما فيها الوسائط النــووية شريطة تجنب دمار كبير • ويمكن التعبير عن هذه الفكرة بقاعدة سهلة تبدو ظاهرياً مخالفة لاجماع الرأي : « لا فتح للنار النووية خارج أرضنا » •

واذا أعلنت هذه القاعدة واحترمت ، فسنكون متأكدين بأن الرد الغربي على هجوم سوفييتي رغم انه نووي سيكون متناسباً ويهدف فقط الفرق المهاجمة دون السكان المدنيين ، وسيكون متوافقاً فعلاً مع الوضع العسكري ودون أن يؤدي الى الفنــاء •

الميزة الكبرى لاستخدام الاسلحة النووية « داخــل أرضنا » انهــا ليست انتحارية • وسيستفيد الرئيس الفرنسي اذا استخدم أسلحته النووية فقط للدفــاع عن نفسه وداخل حدوده من مكانة أدبية متينة جــداً في نظر الرأي العام العالمي ، ولا يخفى ما للمكانة الادبية من وزن هو أكبر بكثير مما يظنه بعض أصحاب النفوس القــوية •

فاذا رد السوفييت رداً نووياً على هــذا النوع من الدفاع فسيكونون أول المعتدين النوويين وان لم يكونوا أول من فتح النار النــووية ، وسيتعرضون دون شك لثأر إستراتيجي فرنسي والذي سيصبح مقبولاً بالدعم الذي يلقاه من الرأي العام الدولي ومن القوى النووية الاميركية •

ويستطيع الفرنسيون القول عندئذ للسوفييت : « ليس لدينا أي نية بنقــل النار النووية لاراضيكم أو أراضي حلفائكم ، ولكننا مصممون على الدفاع عــن أنفسنا ضمن أراضينا بكافة الوسائط الممكنة بما فيها النووية ، وبما اننا استخدمنا هــذه الاسلحة على أرضنا فهي اذن دفاعية بحتة ، واذا رددتم بأسلحتكم النووية الهجومية فاننا سنرد بدورنا مدمرين مدنكم » •

وبذلك يحتفظ الردع الاستراتيجي بكل قيمته •

تلقي نظرية « داخل أرضنا » على عاتق قادة البلد الذي وقع عليه الهجوم مسؤولية باهظة هي مسؤولية فتح النار النووية ولكن بما انها تحدد بوضوح المنطقة الجغرافية التي سيتم فتح النار النووية عبيها ، فهي بذلك تقلل كثيراً من خطر التصاعد •

هل نستطيع تطبيق هذه القاعدة غداً ؟••• نعم اذا كنا مستعدين لتحمل خسائر مدنية باهظة • واذا استخدمت الاسلحة التكتيكية لحلف الاطلسي وفرنساوبريطانيا غرب الستار الحديدي فيمكنها أن تعادل بسهولة التفوق السوفييتي التقليدي والكيميائي ، ولكن على حساب خسائر بشرية باهظة في المدن والقرى الاوروبية القريبة من مراكز الانفجارات • وستكون هذه الخسائر أقل ببضع مئات الآلاف من الخسائر التي قد تتكبدها أوروبا إثر معركة نووية أو رد إستراتيجي •

لذا يجب أن نأمل بأن تزود كل من فرنسا وبريطانيا العظمى بأسلحة نيوترونية، وان أمكن ذلك بقية الدول الاوروبية ، فهذه الاسلحة قليلة الخطر على المدنيين •

وعلينا أيضاً أن نفسر النص « داخل أرضنا » بمفهومه الواسع أي خارج الأراضي المعادية ، فاذا تعرضت ألمانيا الغربية مثلاً لغزو ما وأرادت أن تصد عدوها رغم عدم ملكيتها للاسلحة النيوترونية فيمكنها في هذا الحال أن تطلب من الاميركيين أو الفرنسيين ضرب التحشدات المعادية على أرضها ، وستتكبد دون شك خسائر في الأرواح ولكنها ستكون خسائر محدودة ، وستكون لديها فرصة باعادة توازن القوى لصالحها دون خشية التصاعد الاقصى •

والشيء الاساسي في هذه الحالة هو عدم القيام بأي اجراء نووي على أرضها دون طلب صريح منها • ولكن الوضع الحالي بالنسبة لالمانيا الغربية بعيد جداً عما ورد سابقاً فليس لهذا البلد أي حق بمراقبة استخدام الصواريخ الاميركية (اوروميسيل) أو الاسلحة النووية التكتيكية المنصوبة على أرضها •

اذا قارنا بين فكرة « لن نكون أول من يستخدمها » وخطر تصاعد حاقد

فان هذه الفكرة تعتبر غـير متكاملة ولا ترضي الا الذين لا يرون تبريراً أدبياً لأي وضع تكون فيه البادئين بشن حرب نووية من أي مستوى كان .

وهذه الفكرة غير مقبولة أيضاً من الذين يعتقدون وهم مرتاحو الضمـير أن الردع الآنف الذكر هو خير ضمان للمحافظة على السلام ، ولا يستطيعون تفسـير هذه الفكرة التي تحد من حرية الغربيين والتي يمكن اعتبارها هدية رائعة نقدمهـا على طبق من ذهب للسوفييت .

انني أحلم بدون شك باليوم الذي توضع فيه هذه الفكرة غير المتكاملة على رف في متحف العجائب التاريخية ، وأحـلم باللحظة التي يلغي فيهـا العالم كـل الأسلحة النووية ، ولكن بانتظار ذلك أرى ان هذه القاعدة أو الفكرة غير المتكاملة هي أقل الحـلول سوءاً لانها تمنـح لأحرار أوروبا وغـيرهم أكبر الفرص لتجنب الانتحار أو تجنب الاستعباد من قبل الاستبدادية الشمولية .

يجب أن تتمنى هـذه القاعـدة حتى لو تأكدنـا ان السوفييت لا يرغبـون باحترامها ، لأن الخطر الأساسي لحرب مقبلة وان كان مصدره الشرق الا ان الخطر الاساسي لحرب نووية سيأتي من الغرب ، من الغرب الذي اذا طبق نظرياته فقـد تدفعه الرغبة بالرد على هجوم كيميائي كثيف بفتح النار النووية على المدن المعادية .

هذا حسب رأيي الخطر الأكبر الذي يهدد البشرية حالياً ، وتستطيع قاعـدة « لا فتح للنار النووية خارج أرضنا » أن تساعد على تفادي هذا الخطر .

لهذا كله أريد اليوم أن أقنع ... أن أقنع الانسانيين والاساقفة دعاةالسلام والقساوسة ، اليساريين والاحرار ، الاوروبيين والاميركيين ، الشماليين والجنوبيين ، أريد أن أقنعهم جميعاً أينما كانوا ، أريد أن أقنعهم بأن لا تفتر همتهم ، أريد ان أقنعهم بأن يناضلوا لنشر هذه القاعدة حتى يعترف العالم بها .

واذا نجحوا بذلك يكونون قد اجتازوا أول مرحلة من قهر الحرب .
أول مرحلة من قهر الحرب النووية .

★ ★ ★

ماذا نعمل في المجال التقليدي

الفصل التاسع

اختيار الاسلحة والتكتيك الاشد ازعاجاً للعـدو

اذا تأكدنا من أن النووية لا تردع الا النووية ، واذا قررنا ألا نكون البادئين في نقل النار النووية لأراضي العدو ، واذا اعتبرنا أن السلاح النيوتروني (مثـله مثل خط ما جينو) لا يضمن سلامة البلاد ، واذا أردنا الحياة دون استعباد ، يجب أن نهيء أنفسنا كي نقاوم الهجمات التقليدية بوسائط تقليدية والهجمات الكيميائية بوسائط كيميائية •

هل هذا خيـال طوباوي ؟••

بالتأكيـد لا ••

ليس هناك أسباب أساسية تدعونا لأن نعتبر أنفسنا مهزومين سلفاً ، فتعداد الأوروبيين الغربيين مساوٍ تقريباً لتعداد خصومهم الشرقيين ، وامكاناتهم الانتاجية أفضل ويستطيعون بمجهود مالي أقـل نسبياً من مجهود الشرقيين تجهيز أنفسهـم بشكل أفضل وبما انهم لا يرغبون بالاستيـلاء على موسكو فيمكنهم الحد مـن النفقات والجهد اللازمين لانتاج الاسلحة الهجومية المكلفة والتي تتزود بها أقطـار حلف وارسو ، وان لم يكن تضامنهم متيناً فهو في جميع الاحوال أفضل من تضامن الشرقيين ، هم لا يرغبون بالحرب لكنهم متمسكين بحريتهم ••• وممتلكاتهم •

ورغم ان اشمئزاز الاوروبيين الغربيين نحو الفاشية أشد بكثير من رفضهـم للشيوعية الا ان معارضتهم الحالية للنموذج السوفييتي أكبر بكثـير من معارضـة

الفرنسيين والبلجيكيين للنظام الهتلري عام ١٩٣٩ ولا مجال لمناقشة عدم رغبتهم بالتبعية لنظام ديكتاتوري •

وكي نحول هذا الموقف الادبي الى قدرة على المقاومة ، الى قدرة حقيقية على الدفاع عن النفس ، يجب أن نقترح على الفرنسيين والاوروبيين ، عسكريين ومدنيين ، طرق قتال واقعية ، يجب أن نكف عن اجبارهم على اتباع نظم عسكرية شبيهة بنظم الحرب العالمية الثانية ، يجب أن نظهر لهم امكانية التغلب على العدو، يجب أن نقنعهم بأن تقديره بأكثر مما يستحق هو بنفس درجة خطورة تقديره بأقل مما يستحق ، يجب أن نهيئهم للاستمرار بالقتال اذا اجتيحت بلادهم ، وأن يظلوا يقاتلون حتى لو فقدوا حكوماتهم •

وكي نردع العدو عن المهاجمة بالوسائط التقليدية والكيميائية كما هو الحال بالنسبة للنووية ••• يجب أن يدرك العدو أن لا أمل له بانتصار سهل وسريع ، يجب أن يدرك بأنه لن يحصل على هدفه أو استسلام وان المقاومة ستدوم ما دام تواجد وحداته على أراضينا •

يجب أن يدرك العدو بأن أي بلد قد يخضع جزئياً ولكنه لن يفاوض على استقلاله وحرية شعبه •

انواع الاسلحة الكيميائية :

يبلغ التفوق السوفييتي في كافة مجالات الحرب الكيميائية حداً يصعب فيه ردعه عن استخدام الغازات والايروزول والتوكسينات •

ولكي تتاح لنا فرص الحصول على امكانات للردع الكيميائي يجب العمل ضمن اتجاهين وفي آن واحد •

الاتجاه الاول أن نحمي مقاتلي ومدنيي حلف الاطلسي من كافة أخطار عدوان كيميائي ، والاتجاه الثاني ان نطور وسائط هجوم كيميائية أكثر ازعاجاً للعدو •

فالوقاية من الاسلحة الكيميائية أكثر سهولة وأقل تكلفة من انشاء الملاجىء الذرية ، فكمامات الغاز ، والرادارات والقفازات وواقيات الاحذية كلها تزيد من فرص النجاة • من الصعب تأمين وقاية شاملة وفعالة على مستوى كبير ، لكننا اذا اعتمدنا وسائط وقاية بسيطة اضافة الى تدريب جيد فقد نقلل من رغبة العدو بشن هجوم كيميائي •

لذا يجب تأمين هذه الوسائط وبأسرع وقت ممكن للمقاتلين وللسكان المدنيين، وهذه هي الوسيلة الوحيدة لتجنب حدوث ذعر في الغرب في حال استخدام السوفييت لتوكسين التريكوتيسين ، الذي يميت الضحايا بشكل مرعب •

لا يمكن ردع السوفييت عن استخدام ترسانتهم الكيميائية بوسائط الوقاية فقط اذ أنها لا تكفي ، وكي نحصل على هذا الردع يجب أن يخشى السوفييت ثأراً من نفس النوع وان كان من الصعب جعلهم يرتعدون خوفاً على وحداتهم العملياتية اذ أن تجهيزاتهم المصممة على أساس استغلال نجاح هجومهم الكيميائي كافية تماماً لوقايتهم من كل رد فعل كيميائي غربي •

لذا علينا أن لا نكتفي بتطوير أسلحة كيميائية ذات مدى قصير والتي تزيد فقط من درجة تلوث أراضينا ، بل علينا أن نصنع أسلحة كيميائية هجومية قادرة على ضرب قواعد الدعم اللوجستيكي (الاداري) للقطعات المهاجمة وأراضي الاتحاد السوفييتي نفسه فيما اذا هوجمت أوروبا الغربية بطائرات ودبابات وصواريخ سوفييتية •

لذلك علينا أن نجد أشعة حاملة ذات مدى بعيد : « طائرات ، صواريخ جوية، صواريخ باليستية » ، وبذل جهود كبيرة اذ قد تستطيع دولة كفرنسا البدء بسياسة ردع كيميائية ولكنها غير قادرة لوحدها على خلق ردع كيميائي حقيقي ، فالاطار الطبيعي اذن لتطوير قوة فعالة للردع الكيميائي هو حلف الاطلسي •

انواع الاسلحة التقليدية :

علينا أن نقترح على أوروبا طرق قتال واقعية كي نبعث فيها ارادة المقاومة أمام هجمات تقليدية •

يجب أن تتحاشى هذه الطرق مع منطق تطور الاسلحة التقليدية الذي طـرأ عليها منذ آخر حرب عمت الكرة الارضية •

أربعون سنة مرت منذ ذلك التاريخ ، أي ضعف المدة ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية •

واذا أخذنا بعين الاعتبار التسارع التاريخي خلال هذه الفترة يتضح لنا انـه في حال عجزنا عن تفادي نشوب حرب عالمية ثالثة فسيكون الشبه بينها وبين الحرب العالمية الثانية أقل بكثير من شبه الحرب العالمية الثانية مع الاولى •

طغت المدفعية في الحرب العالمية الاولى ، وكانت مرعبة ومميتة نتيجة التطور الهائل الذي طرأ على امكانات انتاج القنابل ووسائط النقل ، وكانت هذه الحرب أول حرب كبرى منذ ما قبل التاريخ حيث كان الحصان هو العنصر السائد فـي المعركـة •

وللاقلال من الدمار الذي يلحقه التأثير المشترك للمدفعية واللوجستيك على المشـاة ، فقد عم استخدام الطائرات والدبابات التي اكتشفت قبيل أواخر الحرب العالمية الاولى •

واستخدمت الدبابات لحماية المقاتل مع تأمين سهولة الحركة له ، أما الطائرات فقد سمحت بالوصول الى المعامل البعيدة عن خط الجبهة ، وكانت هذه الحرب أول حرب يقتل فيها مدنيون لم تحتل أراضيهم •

ما هي الاسلحة الاساسية التي ستستخدم في حال اندلاع حرب عالمية ثالثة؟•• المدفعية ؟•• الدبابات ؟•• الطائرات ؟•• أو ربما أسلحة لم يكن لها وجود أثنـاء آخر صراع عالمي •

لم تتطور المدفعية الثقيلة بشكل ملموس منذ عـام ١٩٤٥ ، ويمكن القـول أيضاً انها لم تتطور تطوراً أساسياً منـذ عام ١٩١٨ ، ولقد ازدادت بالطبع قـوة الوحدة النارية وازداد المدى وتحسنت دقة الاصابة ولم يعد ضرورياً احاطة الهدف

بطلقة قصيرة وأخرى طويلة وأصبح بالامكان إجراء رمي التأثير مباشرة دون رمايات إحكام مسبقة •

ورغم هذا التطور فليس هناك اختلافات جوهرية بين مدفعية اليوم ومدفعية عام ١٩١٨ حتى بالنسبة للقدرة النارية اذ ان الازدياد الهائل للكلفة قد أنقص كثيراً عدد المدافع المصنعة • كما ان تناقص فعالية المدفعية خلال الحرب العالمية الثانية أتى من صعوبة تحديد هدف متحرك كالدبابات ، وبقيت الخنادق هدفاً مثالياً للمدفعية •

وعلى المدفعية أن تواجه دوماً نفس المشكلة وهي ايجاد الهدف المناسب لمداها ، ولدى السوفييت وحلفائهم حالياً مدفعية ثقيلة هائلة (مدفعية ، قاذفات صواريخ متعددة الفوهات ، صواريخ أرض ـ أرض •••) وترتبط الفائدة المرجوة منها بما يقدمه لها الغرب من أهداف •

ويشابه تطور الدبابات منذ عام ١٩٤٥ تطور المدفعية : زيادة في الاستقلال الذاتي ، قدرة أكبر ، زيادة في التصفيح ، دقة أكبر في اصابة الهدف حتى في أثناء الليل ، الرمي أثناء السير بدقة متناهية بفضل أشعة ليزر وأجهزة الاستقرار •

أما السلاسل فلم تتطور كثيراً ولكن بدأت تظهر المدرعات ذات العجلات بفضل التقدم الذي طرأ على الاطارات والذي يعطي المدرعات قابلية أفضل للحركة دون الاقلال من امكانية تنقلها في مختلف أنواع الاراضي ودون أن تكون هذه العجلات معرضة للاصابة •

لم تتطور الدبابات والمدفعية الا قليلاً ، وقد رأينا في الفصول السابقة ان السوفييت قد زودوا أنفسهم بأعداد كبيرة منها لانها تعتبر بالنسبة لهم الاداة الهجومية الاساسية لحرب كيميائية ، ولكن اذا نشب أي نزاع كان فمن غير المؤكد أن تكون هذه الاسلحة فعالة كما كانت عليه أثناء الحرب العالمية الثانية •

واذا استخدمت الاسلحة المضادة للدبابات الحالية بشكل مناسب وتجنبت

الجيوش المتمركزة دفاعياً تقديم الاهداف المناسبة لهذه الدبابات فقد يكون العكس أكثر صحة ، لقد أصبحت الدبابة الكبيرة المرئية عن بعد هدفاً مختاراً لاسلحة مختلفة وغير مرئية ، وأصبح التعبير الغالي على قلوب الخيالة « لا يفل الدبابة إلا الدبابة » خاطئاً فلم يعد السيف السلاح الافضل لمجابهة السيف بل أصبح الترس هو السلاح الافضل ، وهذا الترس هو السلاح المضاد للدبابات •

ولد السلاح المضاد للدبابات الخفيف في نهاية الحرب العالمية الثانية كما رأت الدبابة النور في أواخر الحرب العالمية الاولى ، وكان أول سلاح مضاد للدبابات هو البانزرفوست الالماني ثم البازوكا في القوات الحليفة ، ويتألف الصاروخ المضاد للدبابات من قذيفة يدفعها محرك صاروخي صغير لا تستند على مغلاق لذا لا تشكل أي تراجع ، ويمكن اطلاق هذا الصاروخ من أنبوب مفتوح في طرفيه ، فهو اذن سلاح خفيف جداً ، اما تأثيره المضاد للدبابات فيأتي من الرأس المتفجر ذي الحشوة الجوفاء التي تركز قوة الانفجار على منطقة ضيقة جداً وبذلك تتمكن من خرق التصفيح بعمق عشرات السنتمترات ومن قذف دفعة من المعدن المصهور الى داخل الدبابة •

لم يتجاوز المدى العملي لهذه الاسلحة عام ١٩٤٥ عشرات الأمتار وكان من المستحيل استخدامها في أرض مكشوفة ، وكان استخدامها الأفضل في قتال الشوارع حيث حلت بجدارة مكان قنابل كوكتيل مولوتوف المحرقة •

وتطورت قاذفات الصواريخ المضادة للدبابات منذ ذلك التاريخ بايقاع تطور الدبابة نفسه ، وازداد مداها ودقة رميها بشكل محسوس ، اما الثورة الخفيفة التي طرأت عليها في نهاية القرن العشرين فانها لم تكن بتطوير قاذف الصواريخ نفسه بل بجهاز التسديد •

احتفظت الاسلحة المضادة للدبابات ببساطة التركيب ولكن مداها ازداد مئات المرات كما تحسنت دقة الرمي مئات المرات أيضاً •

ان اطلاق صاروخ مضاد للدبابات من نوع « ميلان » أو مثيلاته الفرنسية أو

الأجنبيـــة أسهل بكثير من قيادة سيارة ، ويستطيع أي رجل أو امرأة أن تستوعب بنصف ساعة الامور الاساسية لاستخدامه ، أي القيـام ببضـع حركات رئيسية لاطلاقه • أما التسديد فانه سهل للغاية اذ يكفي أثناء انطلاق الصاروخ ابقاء الهدف ضمن شبكة منظار مركب على حامل ثابت •

وأصبح السلاح المضاد للدبابة والدبابة متساويين بفضل دقة ومدى الاسلحة المضادة للدبابات ، هذا اذا كانا يتمتعان بنفس ميزة التـواري عن الرؤيـة ، ولكن لايمكن مقارنة الدبابة بقاذف صواريخ مضاد للدبابات ملتجيء خلف جـدار ، أو تضاريس أرض ، أو تخم غابة •

ليس هناك الآن أية صعوبات في التصـويب وأصبحت البراعة بالرمي غـير ضرورية فمن يرى أولاً ويرمي أولاً هو الفائز •

ويبقى هناك اختلاف وحيد بين الدبابة ومضاد الدبابة هو السعر • فالدبابـة الحديثة أغلى بمئة مرة من أية سيارة خـاصة فخمة ، وأغنى بألف مرة من قـاذف صواريخ مضاد للدبابات ، فيبقى اذن هذا السلاح قليل الكلفة حتى لو استخدمناه ضد سيارة نقل أو صهريج أو خيمة ، اذ يكفي أن نستخدم الرأس المتفجر المناسب•

ستظهر خلال السنين المقبلة دبابات جديدة ذات تصفيح محسَّن ، كالدبابـة البريطانيـة الجديدة « تشيفتن » والدبابة الروسية « ت ـ ٧٢ و ت ـ ٨٠ » التي أصبحت محمية جيداً بفضل التصفيح المركب ذي السطوح المائلة جبهياً ، وأصبحت تستطيع مقاومة الهجمات الجبهية لأغلب الصواريخ الحاليـة ذات المحرك المتوتر ، ولكنها بقيت ضعيفة في الجـوانب والخلف ، وأظنها ستصبح عـن قريب معرضة للاصابة أمام جيل جديد من الصواريخ وخاصة تلك التي صممت لتنقض على هدفها من الاعـلى •

فمن الاسهل اذن أن نطور حالياً الصواريخ المضادة للدبابات بدلاً من تطوير الدبابة نفسها وفي ذلك توفير للوقت والمال ، فكل الدلائل تشـير إلى أن التفوق المضاد للدبابات سيدوم طيلة بقاء الدبابة •

والى جانب الصواريخ ظهر سلاح جديد لدى القوات البرية هو الحوامات.

استخدم هذا النوع من الطائرات عملياتياً خلال حرب كوريا والهند الصينية، وكان دوره باديء ذي بدء التقاط الطيارين الذين أسقطت طائراتهم في الاراضي المعادية ، ثم سريعاً ما طور هذا الاستخدام لجلب التعزيزات الى النقاط المهددة والتي يكون الوصول اليها صعباً ، وبعد ذلك تم تجهيزها ببعض الاسلحة كالمدافع والصواريخ ، فولدت الحوامة المسلحة والتي كانت مرهوبة الجانب من الثوار الجزائريين أثناء حرب الجزائر ، واستخدمت على نطاق واسع من قبل الاميركيين أثناء حرب فيتنام وأثبتت جدارتها رغم أن فوائدها كانت غير حاسمة بسبب النباتات التي تغطي شبه جزيرة الهند صينية والتي كانت تحد كثيراً من فعاليتها .

يمكن وضع صيغة استخدام للحوامات ، في حال نزاع مسلح في أوروبا ، ذات ثلاثة وجوه :

الوجه الاول : للدعم المباشر ، اذ تعتبر الحوامة المسلحة بالصواريخ سلاحاً ممتازاً ضد الدبابات ، فسرعة حركتها تؤمن وصولها للمكان المناسب بالوقت المناسب ، وامكانات التسلق التي تتحلى بها تمكن سدنتها من تحديد الأهداف واطلاق الصواريخ دون أي صعوبة تذكر ، وتبقى سيئة وحيدة هي قابليتها للاصابة فهي مهمة وان كانت أقل مما يؤكده معارضو الحوامات ، وستزداد هذه السيئة بالتأكيد مع ظهور الصواريخ المضادة للحوامات والتي هي قيد التطوير حالياً .

يبدو جلياً منذ الآن ان الحوامة لا تستطيع التحليق نهاراً فوق القطعات المعادية فهي عرضة للاصابة ، واذا أردنا الحصول على مردود أعظمي يجب أن يتم الدعم المباشر بالتعاون الوثيق بين الحوامات والدبابات لذا فقد طور هذا النوع من الطائرات ضمن مفهوم هذه النظرية أي تعاون حوامات ـ دبابات .

أما الدور الثاني الذي تكلف به الحوامات فهو النقل السريع لمجموعات القتال لمواجهة أي خرقٍ معادٍ . وهذه المهمة ، التي تبدو أقل أهمية من الاشتراك الفعلي في القتال ، هي أقل تعرضاً للخطر وتؤدي نفس المردود .

هي أقل تعرضاً للخطر لأنها لا تلزم الحوامات على الاقتراب من الاهداف اذ انها تطير مموهة وتنزل المقاتلين على بعد بضعة أمتار خلف ذرى التضاريس بفضل الصواريخ المضادة للدبابات ، وبفضل ما يمتاز به المختبىء بالنسبة للذي يهاجم مكشوفاً وبحلبـة كبيرة .

هناك امكانية ثالثة لاستخدام الحوامات لم يؤخذ بها عالمياً ولم تتبناها فرنسا لاسباب مادية دون شك ، وتتضمن هذه الطريقة استخدام حوامات ذات مدى طيران كبير مجهزة بمناظير مكثفة للضوء لازعاج مؤخرات العدو ليلاً ، وتستطيع هـذه الحوامات البحث عن أهدافها ومهاجمتها فور اكتشافها بقذائف صاروخية أو صواريخ ذات عبوة متفجرة مناسبة للهدف المكتشف .

بالطبع هناك امكانية تعرض الحوامات للاصابة ولكن هذا الاحتمال لن يكون كبيراً بسبب صعوبة تحديد مكان الحوامات ليلاً ، اما المردود المرجـو من هـذا النوع من الاستخدام فهـو ممتـاز ولا شك نظراً للتدمـير الذي ينتـج عنـه ولجـو عـدم الأمان الذي سيهيمن على العدو .

اما الميزة الكبرى في استخدام الحوامات المسلحة خلف خطوط العدو ليلاً مع الاستعانة بأجهزة تكثيف الضوء ، فهي قصر المدة بين الحصول علـى المعلومـات واستغلالها .

علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أيضاً التطور الذي طـرأ على القوات الجـوية والبحرية منذ الحرب العالمية الثانية كي نحدد طرق القتال الاجدى بالنسبة للوضع الحـالي .

منذ أربعين عاماً والتحسينات المذهلة تتوالى على الطائرات : محركات نفاثـة، سرعات فوق صوتية ، تزود بالوقود أثناء الطيران ، رادارات مركبة على الطائرات، صواريخ قتال ، أسلحة موجهة ، أسلحة تناثر ... كل ذلك يظهر لنا ولأول وهلة أن دور الطائرات سيزداد خلال المعارك المقبلة المنتظرة ، ولكن ذلك صحيح جزئياًفقط ولسببين إثنين :

أولاً التحسينات التي طرأت على الطائرات رافقها في الوقت نفسه تطور في الاسلحة المضادة للطائرات ، وعلى الاخص خلال السنين القليلة الماضية •

فقد حلت المدفعية المضادة للطائرات ذات التوجيه الراداري محل المدفعية ذات التسديد البصري والتي كانت تستخدم أثناء الحرب العالمية الثانية ، وقد أخذت تزول الآن هذه المدفعية المضادة الحديثة ليحل محلها الصواريخ أرض ــ جو الموجهة بالرادار والاشعة تحت الحمراء •

لم تنل هذه الصواريخ في أغلب الاحيان القيمة التي تستحقها اذ ظهر أثناء حرب فيتنام أن الطيارين الاميركيين كانوا يتخلصون بسهولة من الصواريخ السوفياتية بمناورات مفاجئة وباستخدامهم وسائل الكترونية بسيطة (تشويش ادارة الرمي) ولكن الآن وقد مضى عهد بعيد على حرب فيتنام فقد تطورت الصواريخ كمياً ونوعياً • ونتوقع اضافة الى ذلك تطوراً مهماً في القريب العاجل الاسلحة الخفيفة الموجهة بالاشعة تحت الحمراء مثل « الصاروخ أرض ــ جو ذي المدى القصير جداً » •

ان التجهيزات الحربية الالكترونية المعدة لتضليل الصواريخ أرض ــ جو لايمكن اعتبارها الدواء الشافي ، فهي قادرة على التخلص من نوع أو نوعين على الاكثر من الصواريخ ولكنها غير قادرة حتماً على التخلص من كافة أنواع الصواريخ العاملة في الجيوش الغربية أو في جيوش حلف وارسو •

وجهت انتقادات كثيرة حول تزويد الجيوش التابعة لحلف الاطلسي بأنواع متعددة من الصواريخ ومن مختلف المصانع ، ولا نستطيع أن ننكر اننا لو زودنا هذه الجيوش بأنواع أقل لاستطعنا نصب عدد أكبر من الصواريخ بنفس التكلفة، ولكن من المؤكد أيضاً ان هذا التنوع الكبير في صواريخ حلف الاطلسي يصعّب مهمة الطيارين السوفييت كما ان تنوع صواريخ حلف وارسو يصعب مهمة الطيارين الغربيين •

والسبب الثاني الذي يحد من مغالبة الطيران المعاصر هو الصعوبة التي يلاقيها

الطيار في العثور على هـدفه أثناء طـيرانه بسرعة تقارب ١٠٠٠ كم في الساعـة ، فالتوجيه الصوتي للقاذفات المقاتلة المخصصة للدعم المباشر ، كما يدرب عليه حالياً في فرنسا ، لا يعطي المردود المطلوب حتى في حال عدم تشويشه من قبل العـدو ، فسرعة الطائرة الكبيرة لا تترك المجال الكافي للطيـار كي يتفهم ما يقـوله ضابط التوجيه الارضي ، اما بالنسبة للهجمات المكثفة فالمشكلة أكثر تعقيـداً ، فان كان من الصعب وصف الهدف لطيار واحد فالصعوبة أكبر بكثير اذا كان عدد الطيارين خمسة عشر •

ولكن علينا ألا نتطرف بأحكامنا وأن نرمي بالطائرات في سلة المهملات ، فاذا كانت الطائرة سهلة الاصابة عندما تظهر في السماء وهي تجنح لتحديد هدفها فليس الحال كذلك اذا مرت بسرعة فائقة وعلى ارتفاع منخفض اذ لايترك مرورها السريع الوقت الكافي للمدافعين وللصواريخ للتسديد بالاتجاه الصحيح واصابتها •

اذن فلا يزال للطائرات دور فعال في مجالات ثـلاثة : الاستطلاع ، وضـرب لاهداف بالاسلحةالموجهة منالارض ، واطلاقالصواريخ جو ـــ أرض على أهداف ثـابتة •

فطائرات الاستطلاع الحديثة ، بعكس الاقمار الصناعية ، لا تزعجها الغيـوم ولا تضطر للجنوح كيتلتقط صوراً للاهداف فآلات التصوير « المعاوضة للسرعة » تمكنها من ذلك ، ويمكن بالطبع استخدام الطائرات بدون طيار لمهمات الاستطلاع ولكن مردودها أقل فالرجل الآلي لا يوازي الانسان في تفاعله مع تحركات العـدو بالوقت المناسب •

أما فيما يتعلق بضرب الاهداف بأسلحة موجهة من قبل أشخاص على الارض يرون الاهداف مباشرة ، فأظنها الوسيلة الوحيـدة لاعطاء الدعم المباشـر القريب فعاليته ، وأقصد بالدعم المباشر القريب الدعم الذي تقدمه الطائرات للوحدات التي هي على تماس مباشر مع العدو، فيكفي نظرياً فيهذه الحالة أن يكون لدى الافواج والسرايا مضيئات ليزر متوافقة مع قنابل الطائرات الموجهة بالليزر حتى تصيب هذه القنابل أهدافها دون أن يضطر الطيار للارتفاع أو رؤية الهدف •

وكي ينفذ ذلك عملياً ، خاصة في فرنسا ، يجب أن تكون هناك ارادة حقة لحل هذه المشكلة ، وان تتضافر الجهود في القوى البرية والجوية وأن تجدالتمويل المناسب •

ولكن العمل المشترك ، مع الاسف ، غالباً ما يكون حساساً •

والمجال الاخير الذي يظل فيه دور الطيران فعالاً هو حمل الصواريخ ذات المدى المتوسط والبعيد ، فبفضل التقنية التي طرأت على مراكز الملاحة فان اطلاق صاروخ تزيد سرعته عن سرعة الصوت وعلى بعد عشرات بل مئات الكيلومترات من الهدف لا يتطلب أن تكون الطائرة على ارتفاع معين كي تحدد نقاط علام ، اذ يكفي أن يكون مكان الهدف معروفاً بدقة •

ويمكن ضمن هذا المجال تبديل الطائرة بصواريخ أرض ـ أرض ذات مدى متوسط أو بعيد ، ولكن استخدام الصواريخ أقل ليونة من الطائرات اذ لا يمكنها أن تؤدي إلا نوعاً واحداً من المهمات ، ولا يمكن تبديل أهدافها بعد اطلاقها أو استعادتها •

لقد ولّى عهد الطائرة المخصصة للرمي المباشر على أهداف قريبة من الجبهة (على الاقل ضمن مجال حرب أوروبية كبرى) ، ولكن لا يزال أمام الطائرة المقاتلة سنين عديدة ، هذا اذا أحسنا استخدامها في المجال المناسب لها •

أما بالنسبة للقوى البحرية ، فالقاعدة العامة للمعركة الحديثة « النصر لمن يرى أولاً » لا زالت حقيقة ثابتة ، فالغواصات غير المرئية تحت سطح الماء لا تصبح معرضة للاصابة الا اذا اقتربت من السفينة التي تريد اغراقها ، وبالنظر لازدياد مدى الطوربيدات والصواريخ فان هذا التعرض للاصابة في طريقه الى الزوال •

وبالمقابل ، فان سفن السطح التي تعطي تبايناً بصريا ورادارياً واضحاً يكون خطر إصابتها بالصواريخ حالياً كبيراً جداً ، هناك بالطبع صواريخ مضادة للصواريخ قيد التطوير حالياً وستصبح قريباً فعالة ضد الصواريخ الحالية ، ولكنني أخشى أن

تكون نتيجة هذا التنافس القائم بين الصواريخ والصواريخ المضادة للصواريخ لصالح الصواريخ والتي ستبقى في المقدمة ، اذ يبدو من الاسهل أن نصنع صواريخ بحر ـ بحر من أن تتصدى لها .

والاهم من كل ذلك أن سفن السطح السوفييتية مازالت معرضة للاصابة بالصواريخ ولذا يمكن اعتبار أي انزال بحري لقوات حلف وارسو بحكم المستحيل.

ما هو التكتيك الواجب اتباعه :

ان التقدم السريع الذي طرأ على علم الالكترون منذ الحرب العالمية الثانية قد جعل النسب بين فعاليات الاسلحة التقليدية متفاوتة ، فقسم منها لحقه بعض التطور والقسم الآخر قفز قفزات سريعة الى الامام .

وكانت الظاهرة الكبرى في الثمانينات هي الصواريخ الدفاعية المضادة للدبابات ، والمضادة للطائرات ، والمضادة للسفن ، البسيطة والفعالة وذات الكلفة القليلة .

لذا يجب أن يستند دفاع أوروبا غير النووي على استخدام مثل هذه الصواريخ الحديثة وترك أسلحة الحرب العالمية الثانية الباهظة الثمن والمعرضة لخطر الاصابة.

وكي نحدد الطريقة المثلى لاستخدام هذه الاسلحة الدفاعية ، يجب أن نضع أنفسنا مكان العدو وأن نتخيل ما هو الاكثر ازعاجاً لقيادته العليا ، والاكثر خطراً على مقاتليه ... وبذلك تفشل هجومه .

فاذا قررت القيادة العليا السوفييتية ، دفع فرقها المدرعة العديدة نحو الحدود الفرنسية بعد خرقها لجبهة حلف الاطلسي ، فهل تستطيع الفيالق الفرنسية الثلاثة والتي تغطي حالياً جبهة عرضها ٦٠ كم أن توقف هذا التقدم ؟...

هذا قليل الاحتمال .

فبما ان القيادة السوفييتية قادرة على تحديد مكوّنات هذه القطعات

فباستطاعتها اذن تثبيتها والالتفاف حولها ، وارهاقها بأسلحتها التقليدية والكيميائية قبل القضاء عليها نهائياً بالدبابات .

اما اذا كانت هناك مقاومة متواصلة على طول الحدود ، وفي داخل وخارج الاراضي الفرنسية ، دفاع بالعمق دون أجنحة محددة ودون تركيز للقطعات ودون أهداف كبيرة أو تجمع عربات ، فسترهق القيادة السوفييتية نتيجة هذه الاعمال الدائمة ، وستستنفذ قواتها المقاتلة وترتبك قوافلها الادارية .

ان ارهاق قواتها من قبل عدو لا يمكن القبض عليه ، يدمر بكل طلقة دبابة ، ويسقط بكل قذيفة حوامة أو طائرة ، سيجعل القيادة العليا لحلف وارسو تخشى هذا العدو أكثر من معركة دبابات محدد زمانها ومكانها ، كما كان يجري على الجبهة الروسية عام ١٩٤٣ .

لن يشعر قائد الدبابات السوفييتي بأي خوف من مجابهة الدبابات الفرنسية للفيالق الحالية ، حتى لو كان مجهداً نتيجة صراعه مع قوات حلف الاطلسي ، لان هذه الدبابات تكون قد أنهكت من جراء الهجمات الكيميائية المتكررة ، ولتأكده من أنه سيُدعم بأعداد كبيرة من الدبابات والحوامات ، ولثقته بوسائط قتاله المضادة للدبابات ، فيستطيع في هذه الحالة قيادة مناورته دون أي قلق أو توتر عصبي .

لكنه سيكون بلا شك أقل إرتياحاً اذا شعر أن هناك عدواً غير مرئي يراقبه دوماً ، واذا رأى دباباته تحترق الواحدة تلو الاخرى ... لا يود هذا القائد أن يشعر بالموت آتٍ في أية لحظة ومن أي مكان ، وانه معرض لخطر الاصابة في النور والظلام بفضل تجهيزات عدوه للرؤية الليلية ، لا يود أن ينام وهو خائف ، وأن يرى عدوه في كل مكان دون أن يكون له أي أثر ، يطلق بندقيته ذات المنظار أو صاروخه وهاونه ثم يمر قرب حائط أو يزحف الى حفرة أو يهبط مرتفعاً ليجد ملجأً أودراجة فيختفي .

لن يستطيع مقاتلون منتشرون مهما كانت أسلحتهم حديثة أن يصدوا هجوماً سوفييتياً واسع النطاق ، إلا اذا كانوا يمتلكون أسلحة نيوترونية ترمي رمياً مباشراً على التجمعات المعادية ، أما في حالة عدم وجود مثل هذه الاسلحــة ، أو اذا قررت القيادة السياسية عدم استخدامها ، فيمكننا أيضا خنق هذا الهجوم لكن بعــد فترة من الزمــن ».

المهم في الامر أن لا نستسلم ، وان لا نسارع بطلب الهدنة عند أول اجتيــاح لأرضنا ، المهم في الامر أن نرفض الهزيمة •• •وأن نصمد •

ان التأثير الفعال للاسلحة الدفاعية الحديثة اذا استخدمت بشكل جيد قادرة على جعل حياة من يسعى لاجتياح بلد مجهز دفاعياً مستحيلة ، ويمكننا اجهاض أي هجوم بعد بضعة أسابيع أو أشهر • وبذلك نجنب العالم الاخطار النووية الجسيمة التي تفرضها العقيدة الحالية •

وفي الصراع الابدي الدائر بين السيف والمجن ، تغلب السيف الالماني عــام ١٩٤٠ بالتفافه حول المجن الفرنسي ، وتغلبت أيضاً السيوف الاميركية والروسية عام ١٩٤٥ عندما حطمت السيوف الالمانية واليابانية ولكن المجن تطور أكثر من السيف فالمجن الحديث وان كان لا يستطيع كسر نصلة السيف من أول ضربة الا انه قادر على فل هذه النصلة وتحطيمها فلا يبقى من السيف الا قبضته •

ليس ضرورياً أن تهزم أوروبا اذا اضطرت للدخول في حرب دفاعية تقليدية، فقوتها وتعداد سكانها كافيين لان تقاوم وتنتصر ، لــذا يجب الكف عن تبديــل الدبابات والسفن والطائرات عندما تنتهي فعاليتها بدبابات وسفن وطائرات جديدة•

ان الشيء الأساسي والهام هو استخدام هذه الاسلحــة وتطبيق التكتيــك المنهك للعدو : أسلحة ثأر كيميائية ، وصواريخ دفاعية ، وعلى الاخص طرق قتــال

جديدة تضفي صفة الامتياز على الدفاع ، وعلينا أيضاً أن لا نستخدم أسلحـة أو نطبق تكتيكياً موروثاً من الحرب العالمية الثانية •

نحن لن نذكر ما هي التنظيمات وطرق القتال ونوعية المقاتلين التي تحتاجها فرنسا اذ يكفي أن نتخيل ان هذا التبديل قد حصل فعلاً ، ونأمل بأن يصبح هـذا التبديل نموذجاً للدول الاوروبية •

★ ★ ★

الفصل العاشر

تبديل البنية ـ واستخدام افضل للاحتياط

بـــدء التسعينـــات

مقابـلة جرت بين صحفي أجنبي ومسؤول عسكري فرنسي

الصحفي ف•ز : سيدي الجنرال ، لقد جـددت فرنسا منـذ عام ١٩٨ عقيدتها وبنيتها العسكرية ، وأثارت هذه التجربة اهتمام مواطني بلدي ، فقد أيدها الشباب بجملتها ، بينما انتقدها الأكبر سناً ، ولكن جميعهم يجهلونها ويطرحـون على أنفسهم أسئلة عديدة •

أنتم أيها الجنرال الشخص الاكثر كفاءة للاجابة على تساؤلات قرائي لانكـم تشغلون منصباً رفيعاً فيوزارة الدفاع منذ عدة سنواتولانكمساهمتم فيالتبديلات التي طرأت على الجيش الفرنسي ، اضافة الى ذلك فأنتم حالياً مسؤولون عن شبـه العمليات في الاركان العامة ، لذا فاني أشكر من صميم قلبي السيد وزير الدفـاع الذي أتاح لي فرصة التحدث اليكم فاسمحوا لي أن أوجه اليكم الاسئلة التالية :

سؤالي الأول يتعلق بمركز فرنسا الحالي بالنسبة لبقية الدول منذ أن قمتـم بالتبديلات ، ففرنسا كما نعلم كانت تتبوأ في عام ١٩٨٠ المركز الثالث بين القـوى العسكرية العالمية ، ألا تشعرون بأن مركزهمهذا تراجع منذ أنطبقتم طريقة الجيش السويسري ؟

ـ الجنرال ل• : أبداً •• ••من السهل يا سيدي أن نحصي الدبابات وأن نقيم كمية الذخائر وان نجمع الميغاطونات ، ولكن من الصعب جداً أن نصنف الجيوش حسب قيمتها الحقيقية •

كانت جيوش نابليون الثالث ، حسب الاحصائيات ، أقوى بكثير من جيوش ملك بروسيا ، وكان من المفروض أن يتغلب ستالين وبسرعة على فنلندا وبريجينيف على أفغانستان ، ولكنك على علم بما جرى .

فهل كان الجيش الفرنسي عام ١٩٨٠ ثالث جيوش العالم ؟... ربما ولكن لم يكن باستطاعة هذا الجيش التصدي لهجوم سوفييتي غير نووي ، كما انه لم يكن قادراً عام١٩٣٨ على القيام بالتزاماته نحو حلفائنا في تشيكوسلوفاكيا وبولونيا ، فقيمة فيالقنا الدفاعية عام ١٩٨٠ كانت تشبه القيمة الهجومية لخط « ماجينو » عام ١٩٣٩ وهذا رغم عدم تقاعسنا عن القيام بواجباتنا منذ انتهاء الحرب الجزائرية ، فقد طورت أسلحة الجيش الفرنسي ليس فقط في المجال النووي بل في بقية المجالات ، وكان لدى هذا الجيش أسلحة ذات نوعية عالية ، ولكنه كان يعاني كثيراً من السكون العقائدي .

وظل الجيش الفرنسي متشبثاً بفكرة الجنرال ديغول ساعة تخليه عن الحكم .

— ربما ... ولكن أن نقلد دولة كسويسرا ؟..

— سيدي أراك صدمت عندما ذكرت هذا البلد وأقول لك شيئين :

أولاً : لا عيب بأن نقلد من هم أصغر منا اذا كان نموذجهم أفضل ، وثانياً نحن لم نأخذ منهم الا بعض الخيارات العسكرية .

ليس معيباً مطلقاً أن نتخذ من الجيش السويسري نموذجاً لنا ، فمنذ قرون وهذا الجيش يؤدي مهماته على أكمل وجه بردع أي دولة تفكر باجتياح الاراضي السويسرية ، وهذا يعتبر نصراً عظيماً بالنسبة لأي جيش ، يجب ألا نفكر مطلقاً ان منشأ هذه الحماية هو الطبيعة الجغرافية لهذا البلد ، فالطبيعة الجغرافية مفيدة للمدافع ولكنها قد تفيد المهاجم أيضاً لانها تمكنه من قصف المواقع الاستراتيجية من الاماكن المرتفعة وما جرى في « ديان بيان فو » أكبر دليل على ذلك ، كلا ... فهتلر لم يجتح سويسرا احتراماً لمعاهدات دولية بل لانه كان يعلم علم اليقين ان

عشرات الالوف ثم مئات الألوف سيهبون بعد بضع ساعات لمواجهته وليدافعوا عن أراضيهم ، وسيتشبثون بأرضهم للدفاع عـن أمتهم ، لـذا يمكن اعتبار الجيش السويسري مثالاً يحتذى •

ومـن جـهـة أخـرى ، فـاذا استلهـم الجيش الفـرنسي مـن الجيش السويسري استخـدام الاحتياطي فقد بقيت طـرق التدريب العسكري والسياسة الدفاعية مختلفة تماماً في كثير من النواحي •

فلدى الجيش الفرنسي الآن ، كما كان قبـل الاصلاح الذي تتكلم عنـه ، أسلحة نووية إستراتيجية هامة يقـوم على خدمتها جنـود من الجيش العامـل ، وستتحسن هذه الاسلحة قريباً باستخدامنا صواريخجوية يزيد مداها عن ٥٠٠٠كم تطلق من الطائراتأو الغواصات أو الشاحنات، وهذه الصواريخالبسيطةوالرخيصة الثمن تزيد بشكل محسوستنوع الاسلحة الذي نرغبه وبالتاليمصداقية المركبّات الاستراتيجية •

اضافة الى ذلك فلدى فرنسا قوة كبيرة للتدخل الخارجي هذه القوة التـي احتفظت بتسميتها « قوة التدخل السريع » والمؤلفة من المتطوعين كما كانت عليـه الحال قبل عملية الاصلاح •

وبما ان لدى فرنسا الآن قوات نووية إستراتيجية وقوات نووية مشكلة من محترفين فهي تختلف اليوم ، كما كانت عليه بالامس ، عن سويسرا التي ليس لديها وحدات دائمـة •

اضافة الى ذلك ، فان قراءك لا يجهلون دون شـك ان لدينا الآن ، وخلافـاً لسويسرا ، سلاح دفاعي نووي حديث مبني على أسلحـة نيوترونية ذات مـدى قصـير •

ــ لماذا رفض السويسريون عام ١٩٨٢ تزويد أنفسهم بأسلحة نيوترونية رغـم انهم أساتذة المعارك الدفاعية ؟•• لقد ناقشوا هذه الفكرة بعمق وأظن أن قرارهم لم يتخذ اعتباطاً ؟•

ـ ماذا أقول لك ؟... لقد أخطأوا دون شك ، على الاقل من وجهة النظر العسكرية، فالاسلحةالنيوترونية مفيدة جداً لفرنسا وكانت تناسب سويسر لاغلاق الممرات ، ولمنع العدو من نصب بطاريات مدفعيته على المرتفعات ولتجميدالتحصينات دون الحاق الضرر بها . لم يرفض السويسريون الاسلحة النيوترونية لاسباب عسكرية بل لاسباب نفسية ولاسباب تتعلق بالتشريع الدولي ، فعندما يناضلون ، كما يناضلون حالياً ، ضد خطر التزايد النووي فمن الصعب أن يزودوا أنفسهم بأسلحة نووية حتى لو كانت دفاعية كالاسلحة النيوترونية ذات المدى القصير ، اما هذا القرار فكان أسهل بالنسبة لفرنسا لان لديها أسلحة إستراتيجية وأسلحة تكتيكية أقوى بكثير وأشدّ فتكاً من الاسلحة النيوترونية .

ـ اذن سنرى قاذفات صواريخ نيوترونية في كل مكان من فرنسا ؟ ألا ترون ان هناك خطراً بأن تستخدم هذه الصواريخ أكثر مما ينبغي ؟ ألا يوجد خطر لعمل إبتزازي إرهابي غير مقبول ؟

ـ من الصحيح ان أسلحتنا النيوترونية ستوزع بشكل واسع ، أوسع من توزيع أسلحتنا النووية التكتيكية السابقة ، والتي كانت محصورة في عدد محدد من مستودعات القوات البرية والجوية مما كان يبرر القيام بهجوم نووي « استئصالي » عليها ، اما أسلحتنا النيوترونية فهي قيد التركيب في ممرات تحت الارض موزعة بشكل واسع كما ذكرت ، اما القول بامكانية الاستيلاء عليها لاعمال ارهابية .. .فهذا مستبعد جداً .

فاذا رغبت بزيارة أحد مستودعاتنا فستلمس بنفسك استحالة الوصول اليها، فلكي تقترب من هذه الاسلحة يجب أولا الدخول الى كهف في باطن الارض وضعت على مداخله حراسة شديدة ، وللوصول الى قاعات الاسلحة يجب اجتياز شبكتين وباباً مصفحاً مجهزة كلها بجهاز انذار متعدد الاستعمالات يرسل كافة الانذارات الى أماكن مختلفة حيث يسهر دوماً رجال مسلحون ، وأذكرك أيضاً أن كافة الأسلحة النيوترونية ، مثلها مثل الاسلحة النووية ، مجهزة « بعلبة أمان » تجعلها غير قابلة للاستخدام دون موافقة رئيس الجمهورية الذي هو وحده يسمح بازالة تشفيرها ، وهكذا ترى انه ليس من السهل لعب لعبة الارهابيين النوويين .

ـ ولكنني أرى أيضاً ان المصارف رغم الحراسة الشديدة تسرق بانتظام ، ولا أرى سبباً يمنع ذلك بالنسبة لأسلحتكم ، واذا لم يتمكن اللصوص من تفجيرها فعلى الاقل يستطيعون استخدام المواد المشعة فيها لتلويث مناطق بأسرها ، فيكفي أسر الحراس الذين كما فهمت منكم ليسوا محترفين ، واجبارهم على فتح الابواب .

ـ نسيت شيئاً مهماً ، وهو ان صاحب المصرف يستطيع فتح غرفة صناديقه الحديدية ، بينما لا يستطيع حارس المستودع فتح مستودعه .

إن أغلب حراسنا من جنود الاحتياط الذين يخدمون فترتهم السنوية أوالفترة التي تلي الاسابيع الثلاثة المخصصة للتدريب الاساسي المكثف ، فهم بالطبع ليسوا اختصاصيين ، ولكن دورهم لا يتعدى الانذار .

ولنفرض جدلاً ان هؤلاء الحراس يريدون الاستيلاء على الاسلحة ، فليس لديهم أي امكانيات لفتح الابواب الشبكية فلن يستطيعوا اجتياز باب قاعة السلاح المصفح لان هذا الباب لا يفتح الا بمفتاحين وجهازي شيفرة ، مفتاح وجهاز شيفرة موجودة مع السلطة العسكرية ، ومفتاح مع جهاز شيفرة لدى المسؤول الحكومي عن المراقبة .

حقاً لا أرى ان هناك خطراً يهدد السكان .

ـ أرى ان مستودعاتكم أصبحت شبيهة بمغارة « علي بابا » ، ألا تخشون اذن اضاعة الوقت عندما تكونون بحاجة ماسة اليها ، فتصل أسلحتكم بعد المعركة ؟.

ـ أنت محق في ذلك ، ولذا فقد اتخذنا نوعين من التدابير والتي لن أعطيك الا لمحة عنها .

أولاً هناك اجراءات طوارىء والتي تسمح بأمر من السلطة العامة بالوصول بسرعة الى باب قاعة الأسلحة المصفح ، ثم هناك تعليمات لتوزيع الاسلحة بشكل واسع في فترات الازمات الدولية على حساب الحماية .

ـ كل هذا جيد !••• ولكن من سيستخدم هذه الاسلحة النيوترونية ؟ لا أظن أنهم من جنود الاحتياط •

ـ أجل من جنود الاحتياط أو على الاقل القسم الاكبر منهم ، فليس هناك أي سبب كي لا تثق بهم ، هذا اذا أخذنا بعين الاعتبار دوافعهم الشخصية وجودة تدريبهم ، ولا أرى سبباً يمنع اختصاصياً في الالكترون أو محامياً في إستخدام قاذفة صواريخ نيوترونية بذكاء • لماذا علينا أن نعتبر أن العسكريين فقط هم القادرون على ذلك ؟ في أي معركة كانت ليس المهم أن تكون مدنياً أو عسكرياً بل المهم أن تكون قد اشتركت في معركة سابقة أولاً ، فالعسكريون المحترفون والموجودون حالياً في الخدمة لم يخوضوا سابقاً أي حرب كانت عدا بعض الاستثناءات القليلة •

اما اذا أردنا أن نقاتل في يوم من الايام فسيكون لدينا عسكريون سيئون وعسكريون جيدون كما سيكون هناك مدنيون جيدون ومدنيون سيئون •

بانتظار ذلك يجب أن لا نستند على مفاهيم غير مثبتة بالتجارب كي نلقي بأي كان للأمام أو للخلف ، في قوات المناورة أو قوات الداخل المسلحة لاستخدام بارودة أو سلاح ذري •

ـ أين تتوقعون أن تستخدم الأسلحة النيوترونية هذه ؟ هل تفكرون بجدية استخدام هذه الاسلحة المتقدمة تقنياً للدفاع عن قرية منسية في « كروز » (Creuse) ؟

ـ صدقاً ، لا نعرف حتى الآن الى أين سنذهب في إستخدام هذه الأسلحة ، فقد زوّودنا بها ، بادىء ذي بدء ، قواتنا المنقولة جواً بالحوامات ، هذه القوات المخصصة كي تزج بسرعة على محاور الخرق المعادي الرئيسية ، ومن ثم نزود بها فرق المناورة الرئيسية ، وبعد ذلك ونتيجة تجاربنا سنطالب الحكومة بتوسيع مجال استخدام هذه الاسلحة النيوترونية لنزود بها قوات الداخل المسلحة ، وستثار بالطبع بعض المشاكل حول مراقبة الحكومة لهذه الاسلحة ، ولكن ما من شيء لا يمكن التغلب عليه •

ـ انكم تحتفظون بالاسلحة النيوترونيةالاولى لقواتكم المنقولةجواً بالحوامات فهم على ما يبدو أبناؤكم الاحياء ، ولكنهم حسب ما علمت ، ليسوا مستنفرين بشكل دائم لأن أغلبهم من الاحتياطيين .

ألا تعرضون بذلك أمن بلادكم لمخاطر كبيرة ؟.. هل تظنون ان أي معتدٍ سيبلغكم بالطرق الديبلوماسية عن ساعة ومكان هجومه وبذلك تستطيعون تعبئتهم بشكل هادىء ؟ هل تعتقدون ان أي بلد كان مهدد بخطر الحرب بشكل دائم يمكن أن يبني أمنه على نظام تعبئة شبيه بنظامكم ؟ فلا أنتم ولا السويسريون قد جربتم هذا النظام سابقاً .

ـ سيدي ، أنا أجهل رأيك حول النزاع في الشرق الاوسط ، ولا أظنك تشك في قيمة « التساهال » أو الجيش الاسرائيلي ، ففرق التساهال مؤلفة بأغلبيتها من الاحتياطيين الجاهزين للتعبئة خلال بضع ساعات اما جماعياً بواسطة الاذاعة والتلفزيون أو انتقائياً بالهاتفمستخدمين مبدأ الشلال فكل احتياطييستدعى عليه أن يعلم أربعة أو خمسة من رفاقه وهم بدورهم مكلفون بتبليغ أربعة أو خمسة آخرين وهكذا ...

هذه الطريقة تسير حتى الآن بشكل جيد رغم ان الفرق المعبأة تبعد أحياناً عشرات الكيلو مترات عنالحدود ، لماذا لا تكون هذه الطريقة صالحة لفرنسا ؟..

لنأخذ قواتنا المنقولة جواً بالحوامات كحالة خاصة ندرسها ، لا أدري ان كانوا أولادنا الاحياء أم لا ولكنهم بدون شك يشكلون أفواجاً ذات نوعية عالية أغلب عناصرها من المتطوعين ويعرف الجميع بعضهم بعضاً ، لان الافواج قد شكلت من مناطق واحدة ، ففي باريس ثلاثة أفواج : فوج الجنوب ، وفوج الشمال الشرقي، وفوج الشمال الغربي وهذه الافواج متمركزة في ....

ـ عذراً على مقاطعتكم ، هل نستنتج من ذلك انكم تعبئون سكان المدن في قوات المناورة وسكان الريف في قوات الداخل ؟

ـ يجب ألا ننحو نحو التطرف ، ولكنك محق في أغلب ما تقوله، فالمدن الشرقية تؤمّن الجزء الأساسي من قوات المناورة للتدخل السريع ، وتساهم المدن الغربية بتزويد فرق المناورة الاحتياطية ، ولكن هذا لا يعني مطلقاً ان هذه الأخيرة هي أقل نفعاً من غيرها ، ويشكل سكان الريف القسم الأكبر من قوات الداخل •

لنعد قليلاً الى أفواجنا المنقولة جواً بالحوامات ، فهذه الافواج توضع دورياً في حالة « استنفار الأربع ساعات » ولمدة اسبوعين وهذا يعني ان الفوج المستنفر جاهز" دوماً للاقلاع خلال أربع ساعات كي ينفذ مهمة عملياتية •

ومنذ أن يتلقى قراراً بالتدخل يتم الاتصال مع جميع الأفراد في أقل من ساعة، وهذا يسمح بتناول طعام الغداء عند صديق لديه هاتف ، ولكن لا يسمح للعناصر بمغادرة المدينة ، ويبقى لدينا ساعتان للوصول الى مكان تمركز الوحدة وساعة لتهيئة الأجهزة واستلام الأسلحة ، واذا أردنا استلام الاسلحة النيوترونية نضيف على مدة الاستنفار ساعة واحدة هي الوقت اللازم للوصول بالحوامات الى المستودعات واستلام الأسلحة ، ليس هناك أي وقت مهدور وتعتبر النتيجة مقبولة •

ـ مقبولة !•• اذا تمكنا من قول ذلك •• •لكن هل تعتقدون ان الصواريخ السوفييتية يلزمها خمس ساعات للوصول الى فرنسا ؟

ـ هذا موضوع آخر فقوات المقاومة ليست مهيأة للتصدي لهجوم نووي سوفييتي ، أو أن تكون على أهبة القتال فور وصول هذه الصواريخ ، فهذه من مهام القوات النووية الاستراتيجية ، وقد تعهد رئيس الجمهورية الفرنسية علناً في عام ١٩٨ أن لا يكون البادىء في استخدام القوة النووية ، عدا احتمالات استخدامها على أرضه (أو على أراضي حلفائه وبناءً على طلبهم) ولمساعدة الأسلحة النيوترونية ، ولكنه أوضح بشكل لا يقبل الجدل أنه سيرد بشكل مكثف قاصفاً مدن المعتدي اذا تعرضت فرنسا لهجوم نووي ، فلديه الوسائط اللازمة لذلك كما انه لديه التصميم للقيام بهذا العمل ، فالعدو يعرف ذلك ولا أظنه سيفكر بشن هجوم نووي علينا •

فليس من الضروري اذن أن تكون قوات المناورة جاهــزة لتلقي الصواريخ الاستراتيجية النووية ، فمهمتها تنحصر بصدّ العدو أبعد ما يمكن عن حدودنا اذا شن هجوماً كلاسيكياً على بلادنا ، لذلك فهي بحاجة الى حوامات ومركبات سريعة تســير على عجلات ، ولكنها ليست بحاجــة لوسائط نقل تفوق سرعتها ســرعة الصوت •

ــ نحن بعيدون عن ذلك الآن •• فأغلب هذه القوات ليست بحالة « استنفــار الأربع ساعات » حتى ولا العشر ساعات ، وبما انه ليس لديكم جيش دائم فكيف تأملون باجراء التعبئة في الوقت المناسب ؟ وهل تعلمون ان ستراسبورغ هي أقرب للستار الحديدي منها لباريس ؟

ــ نحن لا ننسى ذلك ، وهذا هو همنا الدائم لان أغلب قطعاتنا غير مستنفرة، ولكننا أضفنا على ملاك وحداتنا نسبة ٣٠٪ وبذلــك نضمن عند الحاجة وحدات عملياتية بملاك ٩٠٪ في أقل من ٢٤ ساعة وذلك بدون انذار مسبق ، ونحن نقــوم دوماً بتجارب اختبارية ولم نصل بعد الى حد الكمال ولكننا نعتبر أن طريقتنا الحالية هي أفضل بكثير من الطريقة السابقة •

هل تظن أنه لو أُعلن الاستنفار عام ١٩٨٢ مثــلاً في الساعة ١٤٫٠٠ من أي يوم سبت ، فهل كان بامكاننا أن نعبىء عدداً كبيراً مــن الفرق قبل انتهاء العطــلة الاسبوعية ؟•• اذن من الافضل أن يكون لدينا جنود احتياطيون مدربون جيــداً يقطنون على بعد ١٠ كم من وحداتهم من أن يكون لدينــا نظرياً جنــود يخدمون بشكل دائم في أفواج لا يمكن اعتبارها عملياتية مائة بالمائــة ، لان عناصرها قــد يكونون بإجازة على بعد ٥٠٠ كم من مركز وحداتهم •

وأُصرّ أيضاً على تذكيرك بشيء هامّ هو أن فرقنا الحالية أقل كلفة من الفرق « الدائمة » المذكورة سابقاً لأن أغلب عناصرها من الاحتياطيين ولانها تعمد الــى مصادرة المعدات التي تحتاجها، وهكذا نحصل على فرق أكثر عدداً وتعداداً وبكلفة أقل بكثير • وبدلاً من تغطية جبهة تقل عن ٢٠٠ كم فباستطاعتنا الآن تنظيم مقاومة جادة على طول الجبهة •

ـ تقولون مقاومة جادة ، هل تعتقدون بذلك فعلا ؟ لقد حذفتم خطر هجوم نووي استناداً الى قوات الردع الاستراتيجية ولكنكم لم تتكلموا عن الخطر الكيميائي فهل قواتكم مستعدة للقتال في جوٍّ ملوث تماماً كاستعدادات قوات حلف وارسو ؟..

ـ نحن لا نزعم أبداً أننا وصلنا في هذا المجال الى حدّ الكمال ، ولكننا في تقدم مستمر وملموس ، لم نكن نفكر بجدية منذ خمس سنوات خلت بالخطر الكيميائي. أما الآن فأنا أتحداك أن ترى جندياً فرنسياً احتياطياً كان أم عاملاً دون القناع والرداء الواقي البلاستيكي في أي مناورة كانت ، هذا الرداء الذي لا يزن أكثر من مئات الغرامات والذي يغطي المقاتل بالكامل خلال بضع ثوان مجنباً اياه التماس مع الإيروزول .

بالطبع هذا لا يسمح بالعيش أياماً عديدة تحت قصف القنابل الكيميائية فذلك يتطلب تجهيزات أكثر تقنية ، وقد زودت بعض الوحدات الاختصاصية بها ، ولكنها تكفي لتخفيف نسبة الخسائر بشكل ملموس وبتكلفة مادية معقولة جداً فالرداء البلاستيكي لا يزيد ثمنه عن ثمن كيس قمامة بلاستيكي .

ـ ربما قمتم بجهود مشكورة تجاه القطعات ، ولكن ماذا فعلتم بالنسبة للسكان المدنيين الذين لا يقل تعرضهم للاصابة عن المقاتلين ؟.

ـ كل من يستطيع الذهاب الى المعركة أرجلاً كان أم إمرأة ، لديه التجهيزات الأساسية الكاملة (قناع ، رداء) وقد تم تأمين مخزون من هذه التجهيزات في كل بلدية أو مختارية كي تلبي احتياجات الجميع من الرداء الواقي اما بالنسبة للاقنعة الأغلى ثمناً فلم يتم تخزينها بعد .

وأعلمك أيضاً ، ان لدينا الآن سلاح ثأر كيميائي ، فعشر قنابلنا لها رؤوس كيميائية ذات جسمين ، وهذه الطريقة تسهل التخزين فلا تصبح المواد سامة الا بعد اطلاق القذيفة واندماج الجسمين .

اضافة الى ذلك فأكثر من ربع قنابل طائراتنا مجهزة بنفس الطريقة ، وسنستلم قريباً أولى صواريخ الردع الكيميائي ذات المدى الطويل •

ـ يبدو لي ان اصلاحاتكم للجيوش الفرنسية في مجال الحرب الكيميائية مخيبة للآمال ، فلديكم ردع كيميائي بسيط ووقاية ضئيلة وهذا لن يسمح بالتأكيد إلا بمقاومة ضعيفة •

ـ في الحقيقة اننا لم نجد بعد الحلّ العجائبي ، ولن يتردد السوفييت ، اذا قرروا الهجوم ، في إستخدام كافة وسائط الحرب الكيميائية فلديهم ميزات واضحة في هذا المجال ولن يتهاونوا في الاستفادة منها •

ولكنني لا أظن ان مقاومتنا ستكون ضعيفة كما تقول فالميزة الاساسية للتكتيك الذي نتبعه هي ان لا نقدم أهدافاً للمهاجم ، فلم يعد هناك تجمعات دبابات أو أرتال قطعات وذخائر ، حتى لم يعد هناك جبهة بالمعنى الصحيح ، فقوات الداخل منتشرة تماماً ، اما بالنسبة لقوات المناورة فهي تقاتل بتشكيلات منتشرة وتتحرك نحو مناطق القتال بسرية تامة وهي تتدرب باستمرار على ذلك ، فلن تجد أي وحدة يزيد حجمها عن سرية تتحرك ضمن قافلة ، ولو شوهدت وحداتنا أثناء التدريب فلن ترى أكثر من ثلاث أو أربع عربات تتحرك سوية •

ـ لنفرض انكم لا تقدمون لعدوكم أهدافاً كبيرة ، ولكن هل يحتاج لها ؟•• فيكفيه أن ينثر مواده السامة في جميع المناطق التي يرغب باجتيازها أو احتلالها ليضمن حماية شبكة كاملة •

ـ مهما كان السلاح خطراً فهو ليس أشد خطراً من السلاح النووي، قد يستطيع السوفييت معالجة بضع مئات الكيلومترات المربعة وربما بضع الآلاف منها ولكن ليس أكثر من ذلك ، وقد يستطيعون تلويث ممرات دخول كبيرة ، وليس كل الحدود الفرنسية ، اما اذا نظموا ممرات دخول فسيؤدي ذلك الى تجمعهم وبذلك يصبحون معرضين لاسلحتنا النيوترونية • كما انه لدينا وحدات مدربة ومجهزة

للعيش والقتال في مناطق شديدة التلوث ، وبعض هذه الوحدات مزودة بصواريخ نيوترونية •

أؤكد مرة أخرى بأننا لا نزعم أن بامكاننا إيقاف هجوم سوفييتي كبير أمام حدودنا ، ولكن لدينا النية الصادقة بأن نجعله يدفع غالياً ثمن أية محاولة لخرق حدودنا ، وان يدفع ثمناً أغلى اذا احتل أراضينا •

ـ انكم تتوقعون اذن أيها الجنرال اجتياح بلدكم ، وتنظمون أنفسكم على هذا الأساس ، فأي مَثَلٍ أعلى هذا بالنسبة لعسكري ، بشكل عام تفضلون أن تصبحوا « حمراً » بدلاً من أن تموتوا ، لماذا لا تعلنون ذلك صراحة ؟•

ـ يا سيدي هناك الكثير من الأقوال المأثورة التاريخية ، عبّر عنها رجال فضلوا الموت عن العبودية ، وساهموا بكتابة تاريخ العالم ، وتدعو مواقفهم هذه لإجلالهم، وهم يستحقون كل تقديرنا •

أقول لك بصراحة ، ليس لدي شجاعتهم ، ولكن يجب ألا يؤدي هذا الاعجاب الى تعميم هذه المواقف من قبل المسؤولين السياسيين والعسكريين ، فليس هناك أسوأ من موت أمة ، فالشعب الذي يقاتل يمكن أن يبقى حياً بعد أي غزو ، أما الشعب المذبوح ، الشعب المشوّه ، الشعب المندثر فلن يعيش ثانية •

نحن لا نريد تعقيد المشكلة ، بل نريد أن نعلم هل نرد أم لا على محاولة غزو سوفييتية بتدمير موسكو ؟ هذا التدمير الذي قد يؤدي لتدمير فرنسا ؟ اذا رفضنا أن نردّ ، كما أرغب وأشتهي فعلينا أن نتوقع الغزو وأن نهيء أنفسنا لمقاومته على أرضنا ، فليس هناك أية وسيلة عسكرية أو سياسية تحمينا بشكل تام دون أخطار ودون جهد وآلام •

ليس معيباً لعسكري أن يفكر بأن بلده قد تحتل يوماً ما ، وأن يفضل أسلوب الدفاع وأن يعتقد بأن أسلوب الدفاع قد يؤدي للنصر ، كما انه ليس معيباً له أن يفضل رؤية بلده وقد احتلها « الحمر » بدلاً من أن تمحى من الوجود •

أن نحافظ على الحياة ، أن نحافظ على الامل هـذا هو المهم بالنسبة لأي شعب .

ـ أي أمل هذا ؟ هل تعتقدون جديا انكم في حال عدم تمكنكم من منع جيوش حلف وارسو من الدخول لأراضيكم ، سيكون لديكم فرصاً لطردهم ؟ هل رأيتـم الشيوعية تتخلى مرة عن مكتسباتها ؟ هل رأيتم السوفييت يتراجعون مرة ؟..

ـ ان عدم حدوث مثل هذه الواقعة سابقاً لا يعني مطلقا انها لن تحدث ، اضافة الى ذلك أنا لست متأكداً ان السوفييت لم يتراجعوا سابقاً ، ولكن المهم فقط هو أن نكون قادرين فعلا على جعل حياة كل غازٍ مستحيلة ، وأن نتمكن من خلق الظروف المواتية كي يشعر دوماً بالخوف ، الخوف من فتحة تهوية ، الخوف من أيكة ، مـن منعطف ، الخوف من حقل ذرة ، الخوف من شيخ مسن ، الخوف من امرأة شابة.. الخوف من كل شيء .

لقد أُسست قوات الداخل المسلحة ، والتي ستزورها غداً ، لأجل هذه المهمة فهي قادرة على إسقاط حوامة أو طائرة نقل أو استطلاع أو قاذفة ـ مقاتلة ، وقادرة على تدمير دبابة أو ساحنة ، وعلى نسف خط حديدي أو تقاطع طرق أو نسف جسر أو نفق ، ودربت على مهاجمة مركز قيادة أو استراحة جنـود ، مركز اتصالات أو مستودع اداري ، وهي قادرة على قتل جنرال أو جندي دون أي انـذار وبصمت تـام .

ـ تريدون أن تخيفوا ، وأعترف أنكم أحياناً تتوصلون للتأثير علي ، ولكنني عنـدما أفكر ، أستغرب أن لا يكون في الجانب الآخر مـن الستار الحديدي نفس المنطـق ، وأن يكون الجيش الاحمر منظماً بشكل يناقض تماماً تنظيماتكم فكيف ستخيفون السوفييت بوسائط لايؤمنون بها ؟.

ـ نحن لا ننوي دخول موسكو عنوة ، وأعتقـد أن السوفييت يدركون ذلك جيداً ، وقد صممت أسلحتهم لمهاجمة باريس لا للدفاع عن موسكو .

ـ أرى انكم فخورون بنظامكم فهل تبادر الى ذهنكم أي شك في جدوى هذا النظـام ؟ ألم تجابهكم صعوبات ؟•

ـ بالطبع نعم ، ولكننا نعرف اننا الآن أفضل من ذي قبل ، فردعنا النووي أصبح أقل طموحاً وأشد فعالية ، وأصبح بالامكان استخدام سلاحنا النـووي التكتيكي دون أن يؤدي ذلك الى التطرف ، وأصبح دفاعنا التقليـدي قـادراً على الاستمرار طويلاً في عمق أراضينا ، ويؤهل تدريبنا العسكري آلاف المقاتلين بشكل أفضل مما كانت عليه الخدمة الالزامية منذ عشر سنين ، ولكن أن ندّعي الكمال ، فهناك فرق شاسـع •

واجهتنا صعوبات كثيرة في مرحـلة الانطلاق ••• وكان التبديـل صعباً ، فالعسكريون كما تعلم رجال نظـام ، وكان كل تبـديل يؤدي الى مناقشة نظـم سابقة ، ويرون في كل تغيير فوضى قائمة بذاتها •

نحن نعترف بحدوث العديد من التغييرات خلال السنوات الاخيرة ، وساعدنا في ذلك التأييد الفعال لجزء كبير من الشعب الذي وعى الأخطار الكبيرة المحدقة به ، وتفهم الأهداف التي نسعى من أجلها •

لقد غفر الشعب عن زلاتنا ، لأننا أخطأنا وأخطأنا كثيراً ، وقمنا بعدة تجارب خاصة في حقل التدريب ولم تكن جميع هذه التجارب ناجحة •

ـ ألم تشعروا أثناء هذا التبديل انكم دخلتم دروباً مسدودة؟ وانكم احتفظتم خلال أشهر بل سنوات بجيش أدنى مستوى من الجيش المبدّل ؟

ـ لا أظن ذلك ، اذ ان المبدأ الذي سرنا عليه هو أن نبني قبل أن نهـدم وان نشكل وحدات جديدة قبل إلغاء القديمة ، وقد شكلت أولى هذه الوحدات الجديدة من الاحتياطيين الذيـن تطوعوا لهذا العمـل ، وقبلوا التضحية بعـدة أسابيع في السنة لمساعدتنا على الانطلاق ، فلهم الحق بأمتناننا ، كما قدمت لنا الشرطة عونـاً كبيراً فتمركزها اذن على كامل أرضنا واجب أساسي •

ـ هل وجدتم توازنكم الآن ؟ وهل باشرتم بالرحلة الممتعة ؟

ـ لسنا بعيدين عنها ••• • وما زال أمامنا كثير من الصعوبات علينا تجاوزها ، خاصة فيما يتعلق بالتقدير الكمي الدقيق لاحتياجات كل نوع من أنواع التجنيد ، فمن المهم جداً ألا نخطىء بذلك وعلى الاخص بالنسبة للجيش العامل ، اذ أن دوره هــام جداً ولا يقارن بالدور الذي يلعبه في سويسرا ليس فقط في القوات النوويـة وقوات التدخل السريع أو القوى الجوية والبحرية بل أيضاً في كافـة الوحـدات التابعة لقوات المناورة وقوات الداخل المسلحة •

فجميع هذه الوحدات يقودها اما ضباط من الجيش العامل أو ضباط احتياط، فلدينا دوماً نواة من العناصر العاملة لتأمين الادارة وقد عمـدنا الى ذلك لاسباب تاريخية من جهة اذ كان لدينا أثناء عملية الإصلاح عدد كبير من العناصر العـاملة والجيدة التدريب ، ومن جهة أخرى لاننـا لم نجد أنه مـن الطبيعي الطلب مـن الاحتياطيين تكريس جزءاً كبـيراً من وقتهم لأعمـال وحداتهـم الادارية ، أمـا السويسريون فيقومون بذلك فلديهم دوماً رجال على درجـة عاليـة من التفاني ، ونحن لسنا بحاجة الآن للبحث عن أمثالهم في فرنسا ، فلدينا ملاك من العاملين كافٍ للقيـام بذلك •

ـ يبدو انكم تخصصون مهمات أقل أهمية للعناصر العاملة ؟• هل هذا مكافأة لهـم ؟ وما هي معنوياتهم بشكل عام ؟

ـ في الواقع تؤدي هذه العناصر مهمات إدارية غير مشجعة ولكنها تساهم أيضاً في كل المهمات الهامة كالمعارك والتدريب الخ ••• وهي تدرك ان النظام يرتكز عليها رغم ان دور الاحتياط قد تعاظم •

لقد حافظنا على معنويات صف الضباط بالإستقرار المعيشي فهم الآن أفضل من السابق بكثير ، اذ ان التعبئة وتلاحم الوحـدات يستندان على مبدأ الوحـدة الجغرافيـة ، أضف الى ذلك شعورهم بالاندماج في البوتقة الوطنية فالعـلاقات المهنيـة التي يقيمونها مع جيرانهم تمتد عميقاً في حياتهم الخاصة ، وهذا مهم جـداً دون شـك •

أما بالنسبة للضباط ، المترددين تجاه هذا الاصلاح ، فقد بدأوا يلاحظـون ان حياتهم المهنية الحالية أغنى وأشمل من حياتهم السابقة ، فالزمن الطويل الواجب تمضيته بين قيادة سرية وقيادة فوج أ ُلغي ، وولّى العهد الذي كنا نرى فيه ضباطاً لا تتجاوز أعمارهم ٣٥ سنة وبكامل قواهم الجسدية لا توكل اليهم أية مسؤولية، وأصبحت الكتيبة هي الوحـدة العملياتية الأساسية التي تؤخـذ فيهـا القرارات والمبادهات الرئيسية ، ولا يزال من واجب قائد الفوج أن يهتـم بمشاكل وحـدته العملياتيةولكن أضحتمهمته الرئيسيةالسهر علىتأمينالدعم الاداري واللوجستيكي لقادة كتائبه حتى يتمكن هؤلاء من تكريس كامل وقتهم للتهيئة للمعركة ولتدريب جنودهم ٠

فضباطنا يشعرون حالياً أن مسؤولياتهم تزداد يوماً بعد يوم وان لديهم الحرية بتنظيم وحداتهم كما يرغبون وهم يستفيدون ، ان كانوا معينين في قوات المناورة أو قوات الداخل المسلحة ، من بقاء عناصرهم فترات طويلة لديهم كي ينشئوا منهم أداة قتال فعالة ٠ لا أرى ان وضعهم سيء "

ـ الآن وقد شرحتم بإسهاب فكرة الإصـلاح ، هـل تتفضلون وتحددوا لنا باختصار ما هي خصائص كل بنية ؟٠٠

ـ بكل طيب خاطر ، لنذكر أولاً القوات الدائمة أي القوى الجوية والبحريـة وقوات التدخل السريع ٠ ان ما يميز هذه القوات هو الاستمرارية ، وهي تعمـل حالياً كما كانت تعمل في السابق مع زيادة في عدد المتطوعين الذين تبرم معهم عقود قصيرة الأجل ، فهؤلاء المتطوعون يحلون محل قسم من المكلفين لخدمة العلم والذين كانوا يقضون فترة عام واحد كخدمة إلزامية ، ولكن يجب أن تؤكد هنا أن إستبدال المتطوعين بالمكلفين هو جزئي فقط وان الحماية مثلاً لا زالت بأيـدي الاحتياطيين الذين يخدمون فترة تدريبهم في الوحدات ٠

يأتي بعد ذلك قوات المناورة فميزتها الاساسية هي سرعة تمركزها في المكان المناسب ، وقوتها الدفاعية ٠

قد تكون هذه القوات أقل شهرة من القوات النووية ومن قوات الداخل المسلحة ، ولكنها الاساس في الدفاع عن الحدود ، ونحن نعتمد عليها في ردع العدو عن شن هجوم تقليدي أو كيميائي ، فهي قادرة على تنظيم مناطق مقاومة عميقة ودائمة بسرعة وعلى طول حدودنا ، وهي تختلف عن خط « ماجينو » لعام ١٩٤٠ وعن فرق عام ١٩٨٠ اذ لا يمكن الالتفاف حولها أو خرقها دون خسائر جسيمة من الصعب تحملها حتى لو كان المهاجم دولة عظمى •

ولدينا أخيراً قوى الداخل المسلحة ومن ميزاتها أيضاً الإستمرارية ، فقد شكلت هذه القوات لإنهاك العدو في كل زمان ومكان ، وهي تستفيد من معرفتها الجيدة للأرض ومن الإمكانيات المذهلة للاسلحة الدفاعية الحديثة •

ـ أشكركم ياسيدي الجنرال على الوقت الذي كرستموه لي والعون الذي قدمتموه لتسهيل تحقيقاتي الصحفية •

ـ آمل أن تجد غداً كل الاجوبة التي ترغب بالحصول عليها ـ سفراً سعيداً •

★ ★ ★

الفصل الحادي عشر

تبديـــل خـــدمة العــلم

لاحقاً للمقابلة الصحفية التي أجراها الصحفي الاجنبي

مقابلة مع السيد س ••• ملازم أول مدرب

ـ الصحفي : لقد قالوا لي أيها الملازم أنك النتاج النموذجي للتدريب العسكري الفرنسي الحديث ، هل توجيهي نحو امرأة حسب رأيك هو نوع من الطرافة في الموضوع أم لأن دور المرأة أصبح في الجيش الفرنسي معادلاً لدور الرجل ؟

ـ الملازم الاول س : بالنسبة « للتدريب الابتدائي » أستطيع أن أجيبك بنعم فكل الشبان الفرنسيين ذكوراً كانوا أم إناثا يتلقون نفس التدريب الاساسي خلال فترة « تدريب ابتدائية » وبعد هذه الفترة تستطيع النساء المتطوعات فقط ، اتباع فترة تأهيل « عسكري تكميلي » وتعيَّن المرأة بعدئذ في احدى الوحدات العملياتية بصفة احتياط ، وبعد ذلك تستطيع إتباع دورات في مدارس الضباط وصف الضباط لتخدم من ثم كاحتياط أيضاً في قيادة الوحدات أو كمدربة وهذا ما أقوم به حالياً •

وعلى أي حال ، فليس هناك أية مهمة أو مسؤولية ممنوعة بالنسبة لنا لكوننا نساء •

ـ هل كان بامكانك مثلاً وبعد تدريبك أن تخدمي في الافواج العاملة التابعة لقوات التدخل السريع ؟••

ـ بالتأكيد وقد فكرت بذلك جدياً ، وكان بامكاني الذهاب الى ما وراء البحار لمدة سنتين أو ثلاث وبنفس الوقت أتلقى تأهيلاً متقدماً يسمح لي بالتطوع بعد

انهاء خدمتي لأعمل في ملاك الجيش العامل ، وأن أخدم مثلاً في الوحدات المخصصة لحماية القوات النووية أو كرتيب في قوات الداخل المسلحة وان أتقاضى خلال هذه السنوات الثلاث راتب عريف أول عامل ، وهو دخل جيد كما تعلم •

لكنني خشيت من الضياع في وحدات المظليين والتي بقي سائداً فيها طابع الرجولة ، وفضلت أن لا أكون الوحيدة من نوعي •

أنا لا آسف الآن على شيء فقد تزوجت وأقوم على تربية أطفالي وأعمل كمدرب في « ثلث الوقت » وأتلقى بالطبع راتباً لقاء ذلك •

ــ لنتكلم قبل كل شيء عن « تدريبك الابتدائي » ماذا تعلمت غير السير الموزون ؟•

ــ حتى أكون صريحة ، يجب أن اعترف بأنني لا أعرف السير الموزون ولم أتدرب عليه مطلقاً • فالجيش الفرنسي لا يقوم حالياً باستعراضات سيراً على الاقدام ، وبالطبع هذا أمر يؤسف له خاصة بالنسبة لاحتفالات ١٤ تموز ، لقد جرى نقاش طويل مع أخي الاكبر الذي أدى خدمته في عام ١٩٨٢ ، وأنا على علم بأهمية تمارين السير والمناورات في ذلك الوقت وقد كانت ، حسب رأيه ، المنطلق الاساسي لكل تأهيل عسكري ، وكان من الضروري أن ينجح الاستعراض ومراسيم التقديم للعلم للذهاب باجازة أو ليهنىء العقيد رتباء وحدته ، قد يكون هناك بعض المغالاة في أقوال أخي ولكن هناك الكثير من الحقيقة •

يبدو لي ان النظام المنضم كان ضرورياً وله مبرراته أيام نابليون عندما كان الجنود يسيرون لملاقاة العدو على قرع الطبول وأمامهم تسير الرايات مشرعة ، وكان من الواجب ضم الصفوف تحت وابل الرصاص ، أما الآن فلم يعد ذلك ضرورياً ، لاننا نسعى دوماً للانتشار والاختباء ولا نرغب باعطاء أنفسنا شجاعة زائفة وتقديم أهدافاً جيدة للعدو •

وأود أن أنوه لك حقيقة كي لا تقع بالخطأ ، ان تركنا للاستعراضات لايعني أبداً فقدان الانضباط والاهمال في التصرف ، ونحن لا نخجل من سلوكية جنودنا•

— قد تكونين محقة ، ولكن السوفييت لا يزالون يقومون بالاستعراضات ••• إذن ؟•

— بالطبع ! ••• ولكنني لا أظن ان باستطاعتنا بث الرعب في النفوس لمجرد معرفتنا بالسير الموزون •

— موافق ليس لذلك أية أهمية ، لنعد اذن للتدريب العسكري بما انكم لا تقومون باستعراضات فماذا تتعلمون ؟•

— إذا قارنا ما تتدرب عليه الآن مع ما تدرب عليه أخي أثناء خدمته فاننا لا نجد فرقاً كبيراً في المواد نفسها ، طريقة التدريب فقط هي التي تطورت إذ تدرس المواد النظرية عادة في قاعات مجهزة بتلفزيون ومسجلات لمجموعات تتألف من ٢٠ مستمعاً ، ويبدأ الدرس بالاستماع الى شريط تسجيل (مدته نصف ساعة تقريباً) وينتهي بمناقشة مع المدرب •

ويعطى ثلاث دروس نظرية كل صباح مدة الدرس ساعة واحدة وبما ان مدة مدة الدورة ثلاثة أسابيع فيكون مجموع الدروس حوالي ٤٠ درساً •

— ما هي المواد المدرسة ؟•

— تبدأ الدروس ببعض البيانات حول التسليح في العالم وحول الأخطار التي تهددنا والاسباب التي تدعونا للدفاع عن أنفسنا ، ثم تعرض بضعة أفلام عن مختلف وحدات الجيش الفرنسي وطرق قتالها ، وهذه الناحية مهمة اذ على كل فرد منا أن يختار ، عند انتهاء الدورة ، الوحدات التي يرغب الخدمة فيها ، وذلك حسب الافضليات •

ويتضمن البرنامج أيضاً دروساً عن الاخطار النووية والكيميائية وعن أفضل الطرق للوقاية منها ، وأذكر مدرب مجموعتي لم يلق أي صعوبات ليجعلنا نهتم بالموضوع ، وكنا نشعر بفوائد ما تتعلمه ليس فقط بالنسبة لنا بل بالنسبة لأولادنا

أيضاً ، حتى ان رفاقنا المناهضين للجيش اضطروا للاعتراف بذلك ، وينطبق هذا أيضاً على دروس الاسعاف المفيدة في السلم والحرب •

ــ كل هذا يبدو بعيداً كل البعد عن التدريب العسكري الحقيقي !••

ــ كن مطمئن البال ، هناك دروس على مختلف أنواع الاسلحة المستخدمة في فرنسا وغيرهامن البلاد ، وتتضمن هذه الدروس كالسابق طريقة عمل وصيانة هذه الاسلحة مع اضافات كثيرة حول تأثيرها وفعاليتها • فعرض الافلام مفيدة جداً في هذه الدروس • كما يتلقى الطلاب أيضاً دروساً في تقنية الرمي ، والتمويه ، والحراسة •• •الخ •••

اضافة الى ذلك هناك دروس عملية في الرمي والحياة في الطبيعة ويتدرب الطلاب على السير لمسافات طويلة وبسكون ، وبناء الملاجيء واشعال النار، والعيش تحت المطر وفي البرد القارس ، ونصب الكمائن ، والاكتفاء بالقليل من الطعام ، كما ان هناك تمرين ليلي كل اسبوع (ليلة الجمعة ــ السبت) ، وتنتهي الدورة بتمرين لمدة يومين وثلاث ليالي في الطبيعة •

ــ أن يستوعب الطالب كل ذلك في ثلاثة أسابيع هو عمل طموح ان لم نقل انه غير واقعي •

ــ مدة الدورة قصيرة فعلاً ، ولكنها عبارة عن « تدريب ابتدائي » ونحن نسعى أن نعوض قصر المدة بكثافة الدروس •

ــ ربما !•• ولكن أعتقد ان شكليات توزيع الالبسة ، والفحوص الطبية ، والحلاقة ••• ألخ ••• تأخذ وقتاً طويلاً ولن يبق من الدورة ما يكفي لتطبيق برنامجكم ، فهل برنامجكم واقعي فعلاً ؟••

ــ لماذا تريد أن يكون هناك شكليات لتوزيع الالبسة ؟ تؤخذ مقاييس المكلفين قبل انتسابهم للدورة ويستلمون بزتي قتال كاملتين قبل دورة « التدريب الابتدائي » فيرتدون هذه الالبسة في بيوتهم ويلتحقون بلباسهم العسكري •

... ولا يتعرض المكلفون على الفحص الطبي أثناء الدورة ولا يتلقون علاجاً إلا بناءً على طلبهم ففحص القبول يجري مسبقاً كما ان التلقيح يجري الآن في المدارس والبلديات ، فهذا ليس من اختصاص الجيش .

وكذلك بالنسبة للحلاق فالطلاب يقصون شعرهم بوسائلهم الخاصة .

— كيف هي الحياة اليومية فيهذه الدورة العسكريةالابتدائية ؟ هل تستيقظون على صوت البوق ؟ ثم رياضة بدنية في الفجر ؟ ثم الأكل في قصعة والنوم في مهجع يتسع لثمانين شخصاً ؟.

— قطعاً لا ! ، لا يزال هناك ثكنات تقليدية ولكن تبين لمنظمي الاصلاح ان بناء الثكنات وصيانتها مكلف للغاية ، وكان همهم الاساسي البساطة في التأمين الاداري .

فنظام طلاب الدورات يشبه نوعاً ما نظام طلاب المدارس نصف الداخلية ، ويقطن المكلفون عادة قرب مراكز دعوتهم وهذا يسمح لهم بالوصول في الساعة الثامنة صباحاً إما بوسائطهم الخاصة أو بوسائط النقل الجماعية المخصصة لذلك، ثم يعودون لبيوتهم مساءً في الساعة ١٦٫٠٠ عدا الأيام التي فيها تمارين ليلية ، ويستطيع من يرغب من المكلفين النوم في المركز .

أما بالنسبة للرياضة البدنية ، فقد أُخيّب أملك اذا قلت لك أنه ليس لدينا الوقت الكافي والاماكن اللازمة لممارسة الرياضة أثناء الدورة ، فالرياضة ليست بارتداء قميص والهرولة حول ملعب ما ، أو تبادل كرة بين أربعين شخصاً في ملعب كرة قدم غير معتنى به ، فاما أن نجري رياضة جيدة أولاً .

ولكن اطمئن ، فان لم نخصص في البرنامج وقتا للرياضة بمعنى الكلمة فالتمارين الخارجية كافية تماماً لاعطاء الطلاب اللياقة البدنية اللازمة .

— في أي سن تتبع هذه الدورة ؟ وهل تستطيع الشباب اختيار تاريخ دعوتهم؟

— تجري الدورة العسكرية الابتدائية في سن الثامنة عشر ، ويستطيع المكلفون

اختيار ثلاثة تواريخ لهـذه الدورة ثم يستدّعون حسب الامكانيات ، وأغلب الشباب يختارون فصل الصيف لاتباع هذه الدورة ، ونحن نسعى دوماً لتلبية رغباتهـم •

— لا بد وانكم تواجهون مشكلة ايجاد الأماكن ؟•

— ليس كثيراً ، فهناك المدارس في الصيف ، وقد تم التفاهم التام منـذ بضـع سنين بين الجيش والجامعة ، كلا لا نجـد مشاكل حول هذا الموضوع ، انما نلاقي صعوبات في تأمين العدد اللازم من المدربين العاملين والاحتياطيين وهناك صعوبات بايجاد حقول رمي شاغرة ، ففي فترات الصيف لا يستطيع الشباب الرمي بعدد المرات المطلوبة ، لذلك نستدعيهم لنصف يوم اضافي على فترات وخلال السنة حتى يظلوا بنفس مستوى غيرهم •

— هل لديكم نسبة مرتفعة من الاعفاءات ؟•

— كلا فقد أصبحت أقل من ١٠ ٪ وكي يعفى بعض المكلفين يجب أن يكن هناك أسباب طبية جسيمة ، وأغلب المعاقين يحضرون دروس الصباح النظرية كغيرهم ويبدون غالباً اهتماماً كبيراً بهذه الدروس ، اما بعد الظهر فيعودون لبيوتهم إلا اذا كانوا يتبعون تأهيلاً كمساعد اداري ، وهذا يتعلق طبعـاً بمستوى تعليمهم ورغبتهم •

— وماذا تفعلون بالممتنعين عن الخدمة الالزامية ؟•

— وهذا أيضاً بسيط جـداً ، فهم لا يرسلون الآن الى السجن ، ولا يشاركون بدورات في الغابات ، وقد تم الاعتراف بحقهم بعـدم حمل السلاح دون أن يبرر ذلك أمام لجان معقدة •

نحن نطلب منهم فقط حضور دروس « التأهيل الابتدائي » وبعد الظهر بدلاً من أن يذهبوا لحقول الرمي أو يشاركوا بتمارين القتـال يعودون الى بيوتهـم ، بالطبع لا يتبعون دورات تكميلية ولا يعينون في وحدات عملياتية •

ـ ما تعرضونه عليهم لهو مغرٍ جداً ، ويجب أن يكون هناك عدد كبير من الممتنعين عن الخدمة ؟.

ـ ليس كثيراً ! فلكي يعوضوا عن عدم اشتراكهم في الدفاع عن وطنهم تزداد الضرائب عليهم بنسبة ١ر٣ حتى بلوغهم سن الخمسين وهذه الضرائب تزداد أحياناً بنسبة ١ر٤ للذين يرفضون حضور دروس الدورة الابتدائية مبرهنين عدم أهليتهم حتى للدفاع عن أطفالهم .

ـ ماذا يجري بعد الدورة الابتدائية ؟ كيف يجري التدريب التكميلي ؟.

ـ يتم هذا التدريب خلال دورة التأهيل العسكري التكميلي ، وهناك عدة خيارات ، فلدينا دورة عامة وعدة دورات اختصاصية .

وهذه الدورة العامة تهدف عادة الى تأهيل المقاتلين متعددي الكفاءات لتنفيذ مهمات معينة كحماية النقاط الحساسة ومساعدة المقاتلين الاختصاصيين مثل رماة الصواريخ المضادة للدبابات أو الطائرات الذين هم دوماً بحاجة للمساعدة .

ـ أين يؤهّل هؤلاء المقاتلون متعددوا الكفاءات ؟ ومن يؤهلهم وما مدة تأهيلهم ؟

ـ يؤهلون في كافة الوحدات دائمة كانت أو مؤقتة ومن قبل عناصر من الجيش العامل أو الاحتياطيين ، وتنفذ فترة تدريبهم عادة بايقاع ثلاثي : يوم تدريب ويوم حراسة ويوم راحة ، ويكرس يوم التدريب لتعميق المواد المدرسة أثناء الدورة الابتدائية خاصة فيما يتعلق بالرمي والاسلحة والقدرة على العيش في الطبيعة ، أما يوم الحراسة فهو يوم عمل وهذا يضفي صبغة خاصة على الدورات العامة التي يتماشى فيها التدريب والخدمة بنفس الوقت ، وهي النموذج الوحيد الذي يمكّن الجندي من الحصول على التأهيل والاضطلاع بمسؤولية واضحة كحماية مستودعات الذخيرة أو الطائرات أو السفن الخ... ومدة هذه الدورة ثلاثة أشهر تقريبا منها ٣٠ يوم حراسة .

ـ هل تنفذ هذه الدورة مباشرة بعد الدورةالابتدائية التيمدتها ثلاثة أسابيع؟•

ـ عادة لا • تبدأ الدورة بعد ستة أشهر أو سنة ، اذ يجب انتظار مدة معينة لتقرير التنقلات التي تناسب كل عنصر حسبرغباته وبالطبع حسب احتياجات الجيش •

ـ هل من الضروري تنفيذ الاشهر الثلاثة هذه دفعة واحدة ؟•

ـ كلا ، فاذا كان لدى المكلفين أسباب معقولة يمكن تجزئة هـذه الدورة على مرحلتين كل مرحلة من ستة أسابيع وهكذا يستطيع الطلاب اتباع تأهيلهم العسكري دون الانقطاع عن الدراسة •

ـ هـل لدى من يتبع دورات الاختصاص نفس الامكانيات ؟ وما هي مـدة دوراتهم ؟•

ـ بالتأكيد ، وتتضمن الدورات الاختصاصية بشكل عام مرحلة تدريب نظري ومرحلة تطبيق ، ويمكن للعناصر التي تتبع هذه الدورات تجزئتها بسهولةالى مرحلتين ، أما المدة الاجمالية فهي قريبة من ثلاثة أشهر وان كانت هذه المـدة غير محددة بقاعدة مطلقة •

فالشيء المهم بالنسبة لهذا الموضوع هو أن يكون التدريب مكثفاً وفعالاً ، وقد منح القانون السلطة العسكرية حق استدعاء جميع الشبان الفرنسيين أثنـاء السلم لتأهيلهم عسكرياً لمدة ستة أشهر ، ولكننا لا نستدعيهم عملياً أكثر من أربعة أشهر فلا زلنا كما ترى ضمن النص القانوني •

ـ ما هي مختلف أنواع الدورات الاختصاصية ، وماذا تفيد ؟

ـ تهدف هذه الدورات الى تدريب الاحتياطيين على مختلف أنـواع العتـاد الموجود في قوى المناورة أو قوى الداخل المسلحـة ، فعلى الاحتياطيـين أن يتعلموا ليس فقط استخـدام العتاد بل صيانته أيضـاً والقيـام باصلاحات بسيطـة •

وهذا يدعونا الى افتتاح دورات متعددة كي نهيء العدد الكافي من الاحتياطيين لاستخدام كافة أنواع الاسلحة (صواريخ ، قاذفات صواريخ ، ألغام ...) وكافة أنواع العتاد (لا سلكي ، سيارات ، بلدوزر ...) .

وبرنامجنا طموح جداً اذ يطلب من الاحتياطيين القيام بكافة الاعمال ، والسويسريون يذهبون أبعد من ذلك اذ لا توجد في وحداتهم نواة دائمة من الملاك العامل .

— اذا أنهى شاب ما تأهيله العسكري لثلاثة أسابيع ثم لثلاثة أشهر فهل يحرر من واجباته العسكرية ؟.

— بالطبع لا ، فعندما ينهي هذا الشاب تأهيله التكميلي يحصل على دبلوم كمقاتل عملياتي ، ثم يعين بعد ذلك في وحدة ما أو يوضع في الاحتياط العام .

لم نتوصل حتى الآن ، ويجب أن أعترف بذلك ، الى المساواة المطلقة فالبعض يستدعون أكثر من غيرهم وهذه الحال كانت موجودة قبل الاصلاح ولكن بنسب استدعاء أقل بكثير .

يحدد القانون بالنسبة للاحتياطيين وأثناء السلم فترة استدعاء اجبارية لمدة أقصاها عشرون يوماً على أن لا تحوي أكثر من ١٥ يوماً متتابعاً ، وهذا ساري المفعول بالنسبة لمن تقل أعمارهم عن ٣٥ سنة ، أما بالنسبة لمن تتراوح أعمارهم بين ٣٥ ــ ٥٠ سنة فالمدة القصوى المحددة هي سبعة أيام .

أما عملياً فمدد الدعوات أقل من ذلك ، مثلا في الوحدات العملياتية يشترك المقاتلون الذين تقل أعمارهم عن ٣٥ سنة بمناورات سنوية تدوم ستة أيام وتمرينين أو ثلاثة مدة كل منها ٢٤ ساعة وأحيانا بعض الدروس الاضافية التدريبية صباح كل سبت .

مجموع هذه الدعوات حوالي ١٢ يوماً في السنة يضاف اليها أيام « استنفار الأربع ساعات » لبعض وحدات قوات المناورة .

— وماذا تطلبون من احتياطييكم الذين تزيد أعمارهم عن ٣٥ سنة ؟

— يخدم الرتباء منهم في أغلب الأحيان كمدربين ، أما ما تبقى فلا يستدعـون عملياً الا اذا تطوعوا لذلك كي يخدموا في قوات الداخـل المسلحة والمـدة الوسطية السنوية هي ٣ـ٤ أيام •

— كما فهمت منك ، هناك أربعة أشهر تأهيل عسكري مجزأة علـى دورتين أو ثلاث دورات ، ثم هناك تأهيل آخر محدّد بخمسة عشرة مرة لمـدة ١٢ يوماً لمن تتراوح أعمارهم بين ٢٠ ـ ٣٥ سنة ، اضافة الى تأهيـل محدّد بخمسة عشرة مرة أيضاً لمدة ثلاثة أيام لمن تتراوح أعمارهم بين ٣٥ ـ ٥٠ سنة وهذا يعطينا كمجموع حوالي سنة واحدة ، فما هي الميزات بالنسبة للوضع السابق؟

— كي لا يوجد أي ميزة بالنسبة للمكلفين ، ولم يهدف الإصلاح الى انقاص مدة خدمة العلم بل تحسين نوعية الدفاع عن فرنسا وقد توصلت الاصلاحات التي جرت الى هذه النتيجة لان عدد ونوعية المقاتلين قـد ازدادت دون إرهـاق لخزينة الدولة •

— يبدو لي ان هذا غير واقعي •

— هذا لانك لا تتصور ما هي كلفة الاحتفاظ بجيش دائم كبير ، والهدر الذي تسببه خدمة العلم كما كانت عليه منذ عشر سنين •

— أعطني مثالاً •

— سأضرب لك مثل رامي الدبابة ، فقد كان يجري تدريبه مجزأً على كامل مدة خدمته ولا يصبح هذا الرامي عملياتيا الا بضعة أسابيـع قبل تسريحه ، ثـم لا يطلب ثانية للخدمة في وحدته الاصلية ليسد دين تدريبـه ، واذا استدعي عرضاً كاحتياطي فسيدعى لوحدة أخرى ليستخدم فيها أسلحة أخرى ويتبـع طرق قتال أخرى ، لان الاسلحة المتطورة كانت مخصصة فقط للجيش العامل •

— كيف تتم ترقية الاحتياطيين ؟•

ـــ يظل الكل سواسية حتى انتهاء فترة « التدريب الابتدائي » مهما كان مستواهم الثقافي ، فلا مكان الآن لتدريب عسكري محدود الفائدة كما كان قبل الاصلاح ، اذ كان المكلفون يتلقون عادة نفس التدريب مرتين ، مرة أثناء فترة تأهيلهم والمرة الثانية أثناء فترة خدمتهم •

بعد التخرج من الدورة الابتدائية يستطيع الجنود التقدم بطلب الالتحاق بدورات صف ضباط أو ضباط احتياطيين ، ويؤخذ بطلبهم حسب مستواهم الثقافي ونتائج دورة التدريب الابتدائي ، ثم يتبعون لمدة ثلاثة أسابيع دورات صف الضباط أو الضباط وذلك قبل فترة التدريب التكميلي •

بالطبع هذا لا يكفي كي يصبح الجندي صف ضابط أو ضابط احتياط ، فعلى الجندي أن يخدم سنتين في وحدة عملياتية حتى يتم ترشيحه لرتبة رقيب ويتبع بعد ذلك سير الترقية الطبيعي ، ويمكن ترشيح أي صف ضابط لرتبة ضابط بعد خدمة أربع سنوات •

ـــ رغم انك ضابط مدرّب فلا زلتِ على ما أظن معينة في قوات الداخل المسلحة ، وهذه القوات هي أساسية في جيشكم الحديث ، هل لكِ أن تصفي لي طريقة العمل أو تشرحي لي طريقة التدريب ؟

ـــ ان هدف هذه القوى كما تعلم هو تنظيم مقاومة دائمة أمام كل عدو ينجح باجتياح أراضينا بعد أن يخرق دفاع قوات المناورة والتي تكون قد كبدته خسائر جسيمة ولا زالت تتابع ضرب مؤخراته •

نظمت قوات الداخل المسلحة على أساس قطاعات وكل قطاع يقابل الناحية حسب التنظيم الاداري ويعتبر القطاع العنصر الاساسي في هذا التنظيم فتشكيل الوحدات وتوزيع المهمات العملياتية والادارية ، والاستدعاء ، والتمارين كل ذلك يتم ضمن القطاع فمبدأ اللامركزية مطبق بشكل جيد •

ـــ من المؤكد ان قادة القطاعات هم من الجيش العامل بما ان عليهم هذه المهمات الكبيرة ؟•

ـــ أبداً ، ليس هناك أية قاعدة ثابتة فاذا كان قائد القطاع مثلا من الجيش العامل فمعاونه يكون من الاحتياط والعكس بالعكس ولكن هذا ليس ضرورياً •

ـــ بمن يرتبط قادة القطاعات ؟

ـــ بقادة المناطق ، وتبعاً لتعداد السكان هناك من ثلاث الى أربع مناطق في كل محافظة ، ومهمة قائد المنطقة الرئيسية ، كما قال لي أحدهم مؤخراً ، أن يجد أفضل القادة للقطاعات ، ولا ينسق قائد المنطقة أعمال المقاومة في قطاعاته إلا نادراً ، عدا ما يتعلق بخطة تدمير الأهداف المهمة (جسور ، أنفاق •••) ونقل التوجيهات العامة التي تقرر على المستوى المركزي •

وقائد القطاع ليس بحاجة للمستوى المركزي كي يقاتل ، فلديه مسبقاً كل ما يحتاج اليه من أسلحة لمقاتليه ومن تجهيزات لينظم المقاومة اما بكمائن كبيرة أو بانهاك العدو أو بأي طرق أخرى تناسب الوضع الراهن •

ـــ أنا لا أفهم جيداً ، فقوات الداخل المسلحة هل هي مشكلة من وحدات عسكرية حقة أو من مجموعات من المقاومين ؟

ـــ سؤال صعب ، فأنا لا أعرف ما هي الوحدة العسكرية الحقة ، ولا أعرف كيف كانت المقاومة منظمة عام ١٩٤٤ •

بالطبع هناك تجانس أقل في قطاعات قوات الداخل منها في قوات المناورة فبعض الوحدات تعدادها أكبر من غيرها ، وهناك أيضاً بعض المقاتلين المنفردين من رجال ونساء لا يرغبون بالانضواء تحت بنية هيكلية معينة ، وانما برهنوا لقادة قطاعاتهم انهم أهل للقتال بفعالية ، وهؤلاء يستلمون الأسلحة والمتفجرات اللازمة عندما تستدعي الحالة ذلك •

ـــ أين توضع هذه الاسلحة ، وكيف تحمى ، وكيف توزع ، ألا يمكن أن تستخدم أثناء السلم لأعمال تخريبية ؟•

ـــ تخزن هذه الاسلحة في مستودعات قد تكون أقل حماية من مستودعات

الاسلحة النووية ، ولكن طريقة الحراسة هي نفسها ، وأستطيع أن أضمن لك ان الحماية الحالية هي أفضل مما كانت عليه منذ عشر سنين •

أما بالنسبة لتوزيع الأسلحة فليست هناك أية مشكلة ، اذ تقرر الحكومة حسب الظروف توزيع نوع معين من السلاح في منطقة معينة ، مثلا تقرر تسليح :

ـ المجموعات المضادة للطائرات في جميع أراضي فرنسا •

ـ مجموعات الالغام في المنطقة الشمالية والشرقية •

ـ المجموعات المضادة للدبابات في اللورين ، وشامبانيا ، وبيكارديا •

فالحكومة كما ترى تحتفظ لنفسها بهذا الحق ، اما في حال انقطاع الاتصال مع باريس فيتم توزيع كافة الاسلحة •

ـ كيف تنظمون تدريب مقاتليكم ؟•

ـ هناك نوعان من التدريب ، تدريب تقني وتدريب تكتيكي •

فالتدريب التقني يهدف الى جعل كل مقاتل يحتفظ بكامل امكانياته في استخدام السلاح وأن ينمّي هذه الامكانيات ، أما التدريب التكتيكي فيهدف الى تدريب المقاتلين على الارض : على تنظيم أفضل الكمائن ، وعلى التقرب والانسحاب بشكل مستور ؛ فيهدف التدريب التكتيكي اذن الى تنمية امكانيات كل مقاتل على التنقل وأن يرى ويرمي دون أن يُرى •

ونقوم أحياناً بتدريب نموذجي على هذا النوع ، وذلك بأن يجتاز عدد من المقاتلين القطاعات المجاورة وأن يمكثوا فيها دون أن يكتشفهم أحد اما بالنسبة للآخرين فعليهم أن يكتشفوا ويعتقلوا الدخلاء •

ـ هذا نوع من لعبة (أبطال وحرامية) التي كنا نلعبها ونحن أطفال !•

ـ اذا أردت ذلك ، ولكن يمكن اعتبار هذا التمرين نافعاً وغير ممل بنفس الوقت •

— ما هي فترات استدعاء مقاتلي قوات الداخل المسلحة ؟

— ليس هناك قاعدة ثابتة ، فكل شيء يتعلق بقائد القطاع الذي عليه أن يحترم فقط المدد المحددة بالقانون ، ولا توجد فروق شاسعة بين ما يحدث في قوات الداخل المسلحة وقوات المناورة ، سوى كثرة فترات التدريب بمدد أقل .

— ألا تخشون في حالة الحرب ، أن تؤدي هذه الاغارات ، والتخريبات والكمائن الى عمليات انتقام ضد السكان المدنيين ؟

— نعم بالتأكيد ، وهناك عدة عوامل يجب الأخذ بها ، فعلى العدو أن يتوقع أولاً خسائر جسيمة ثمن هذا الانتقام ، فصواريخنا المضادة للطائرات والمضادة للدبابات فعالة جداً رغم بساطتها ، أضف الى ذلك بناء الملاجىء الطبيعية وغير الطبيعية والمموهة جيداً لحماية السكان المدنيين ، وهناك شيء مهم فنحن نفضل الانتقام على الحرب النووية وكان علينا أن نختار فاخترنا .

— كل هذا قد يكون ممتازاً على الورق ، ولكن اذا أتى اليوم الذي تتوقعه فماذا سيجري ؟

— لا أستطيع أن أكشف لك بالتفصيل ما سيجري ولكن يمكنني أن أؤكد لك انني أفضل ألف مرة أن أكون خلف شجرة من أن أكون داخل دبابة معادية وذلك بفضل نوعية الاسلحة التي نملكها والكمائن التي سننفذها .

— أنتِ ، من الممكن ؛ ولكن هل تظنين ان الفرنسي العادي ، فرنسي المجتمع الاستهلاكي ، سيقاتل فعلاً عند الضرورة ؟

— سيكون هناك عيوب ولا شك ، ولكنها أقل مما تتوقع فالتضامن السائد بين المجموعات في وحداتنا يعوض عن الخوف ، بالاضافة الى أنه ليس ضروريا تعبئة الجميع ، فالاسلحة الدفاعية الحديثة هي على درجة عالية من الفعالية بحيث تعوض عن كثرة العدد ، فيكفي فرنسي واحد أو فرنسية من مائة مصممين على الدفاع كي يجعلوا حياة المعتدي صعبة .

— كل ما ذكرتيه ينطبق على قطاعات ريفية ، فما هو المتوقع بالنسبة للمدن ؟

— ان معرفتي بقتال الشوارع هي أقل من معرفتي بالقتال في الاراضي ، ولكنني أعرف جيداً ان توجيهات المقاومة التي تستند على الاستقلال الذاتي للقطاعات هو نفسه ، وامكانيات القتال في المدن كبيرة ، فاذا تمركز قناص ، أو رامي قاذف صاروخي على سطح أحد المنازل فسيلحق بالعدو اصابات شديدة دون أن يعرّض نفسه للخطر ، اما اذا تمركز مئات بل آلاف الرماة فانني أؤكد لك بأن تقدم واقامة المحتلين لن تكون سهلة ، وعلينا ألا ننسى أيضا شبكات المجارير وامكانيات استخدامها لاجراء التخريبات اللازمة .

— هل تعتقدين ان فرنسا قادرة على مقاومة هجوم تقليدي كبير لمدة طويلة ؟

— نعم ، ويجب أن يعلم العدو بأننا مستعدون دوماً للقتال ، مستعدون للقتال ليس حتى آخر قطرة من دمائنا ، بل بذكاء ، نحن مستعدون للنضال ليل نهار ، في الغابات والشوارع ، صيفاً وشتاءً ، من الآردين وحتى جبال البيرينيه .. حتى النصر .

الخلاصة

أن نقهر الحرب ، هو قبل كل شيء أن نتوقعها •

تخطيط ، برمجة ، خطة عتاد ، خطط إطفاء ، خطط طويلة الأمد ، نموذج ٢٠٠٠ ، كل شيء مقدر مسبقاً ، كل شيء مبرمج ، كل شيء مأخوذ بعين الاعتبار ، السفينة هذه ستبدل عام ١٩٩٢ ، والدبابة تلك عام ١٩٩٤ ، وذلك الرادار عام ١٩٩٥ ، هذا هو الحال في فرنسا كما في بقية الدول الغربية •

كل شيء مقدر سلفاً ••• عدا الحرب •

ادارة الجيوش جيدة ، اختيار الميزانية صائب ، الأركان تعمل بأمانة ، والوزارات تراقب بنزاهة •

أما الحرب ، الحرب الملموسة ، فهي منسية •

فقد خنق الردع التفكير •

لماذا نفكر ؟••• لماذا نجدد ؟•••

لماذا نسعى لجعل العقائد النووية واقعية ، بينما لا تفيد إلا كمواضيع لخطب سياسية ؟••• لماذا نتطلع بشغف الى مستقبل الاسلحة النووية وقد صنعت كي لا تستخدم ؟••• لماذا نسعى حثيثاً لتبديل البنية العسكرية ، وأساليب القتال ، وخدمة العلم ، بينما لا تناقش هذه المواضيع وأمور الجيش بجدية من قبل الاحزاب السياسية والرأي العام ؟••

نحن بحاجة الى دفاع آخر ••• وجيش آخر ، لانه اذا انتفضت الديموقراطيات الشعبية يوماً ما وتحرك الجيش الاحمر فلن تكون الحرب مبهجة ، وسيصبح الثأر

النووي الكثيف والضربات النـووية التي تنص عليها العقيـدة الفرنسيـة حقائق ملموسة ، وستخيف ، تخيف لدرجة تصبح فيها عاجزة عن تأمين الحماية •

اذن يجب على فرنسا وأوروبا أن تكونا جاهزتين للقتال ببصيرة متفتحة وإلا سيكون مصيرهما الفناء أو العبودية ، ولن يبقى لهما أثر في الوجود •

ليس من الصعب تبديل العقائد اذا أخذنا بعين الاعتبـار أن الاميركيين لـن يجازفوا بحياتهم من أجل غيرهم ، يكفي أن تعي بأن فرنسا وبريطانيا العظمى لـن تجازفان بثأر نووي رداً على هجوم تقليدي ، يكفي أن نفهم بأن النووية لن تردع إلا النووية وان تحديد هذا الردع سيجعل أي دفاع تقليدي أو كيميائي ذا فعالية •

أما المهمة الأصعب فهي تبديل إرادة الـدفاع وفكرة المقاومـة ، فالفرنسيون ليسو « عجولاً » حتى لو ظنوا ذلـك ، ويجب أن يبرهنـوا أن ديغـول كان مخطئاً في هذه الناحية •

يجب أن يزال الاعتقـاد السائـد لـدى الاوروبيـين بأنهـم عاجزون عن مجابهـة « الغـول » السوفييتي بوسائطهـم الخاصة ، وعليهم أن يبرهنـوا بأن المثـل الاعلى للديموقراطيـة يستحـق بعض الجهـود الشخصية ، فالجيش المحترف أقل فعاليـة من شعب يدافع عن نفسه ومن أمـة تقاتل من أجل حريتها•

لهذه الاسباب كلها ، يجب أن نقتنـع اذ لا فائدة من أن نكون على حـق ولكن بعـد فوات الاوان وأن نقول « أما قلت لكـم ذلـك » •

فعلى الذين اقتنعوا أن تكون لديهم الجـرأة بالاعتراف حتى لـو اضطروا لتبديل آرائهم ، وعلى الذين لم يقتنعوا بعد أن يدافعوا عـن وجهة نظرهـم وأن يسعوا لتحسين اقتراحاتهم •

على الجميع أن يسعوا للاقناع ••• فلا وقت هناك نهدره •

أخ ضد أخ ، عشيرة ضد عشيرة ، مدينة ضد مدينة ، مملكة ضـد مملكة ،

أمـــة ضد أمة ، لقد تقاتل الناس على مدى الدهر ، وفي كـــل مرحلة من مراحـــل تطورهم ، وازدادت حروبهم هولاً •

أخوة متحدون ، عشائر متحدة ، مدن متحدة ، أمم متحدة ، لقد تجمع الناس على مدى الدهر ، وفي كل مرحلة من مراحل تطورهم اشتدت أواصر أخوتهم •

وسيختار العالم قريبا بين المعركة النووية والتضامن الجماعي •

الملحق ١

الاسلحة النيوترونية

الاسلحة النيوترونية هي أسلحة حرارية ـ نووية ذات استطاعات ضعيفة صممت على أساس زيادة الاشعاع النيوتروني على حساب تأثير العصف والتأثير الحراري .

عموميات حول الاسلحة النووية :

تأتي القدرة التي تنتجها الاسلحة النووية اما من انشطار النواة في الاجسام الثقيلة(اورانيوم، بلوتونيوم) أو من اندماج الأجسام الخفيفة(دويتريوم، تريتيوم).

ومنشأ هذه القدرة نابع من قاعدة عامة هي ان كتلة النواة في أي جسم كان هي أقل من مجموع مركّباتها (بروتونات ، نوترونات) ، فهناك « خلل في الكتلة » يترجم أثناء تشكيل النواة بتبديد واسع للقدرة والتي يمكن أن تحسب قيمتها بمعادلة انشتين الشهيرة ($E = mc^2$) مما يبين التكافؤ كتلة ــ قدرة .

وكلما ابتعد الوزن الذري لجسم ما عن الوزن الذري للحديد ، الذي يتميز بالخلل الكبير في كتلته ، استطاع أن يحرر قدرة أكبر اما بانشطاره (انشطار نواة ثقيلة) أو باندماجه مع غيره (اندماج النواة الخفيفة) .

يستخدم في الاسلحة الانشطارية مفجر تقليدي ذو شكل معقد جداً يركز المادة المنشطرة بشكل كافٍ مما يسمح بحدوث سلسلة من ردود الافعال يثيرها البث المتجانس للسيالة (Flux) النيوترونية .

لا يوجد حالياً أسلحة اندماجية بحتة ، فكل الاسلحة الحرارية ــ النووية يجب أن تشتعل « بمشعل » انشطاري يرفع درجة حرارة الاجسام الخفيفة الواجب دمجها لمستوى معين ولمدة كافية .

لا تشذ الاسلحة النيوترونية عـن هذه القاعدة ، رغم ضعف استطاعتها فهي بحاجة لأن تشتعل بردود أفعال انشطارية خفيفة •

القدرة المحررة من قبل الاسلحة النووية :

يبين الجدول التالي ان الاسلحـة النووية المختلفـة لا تنشـر قدرتها بنفس الطريقـة •

	الاسلحـة الانشطارية	الاسلحة النيوترونيـة
عصف وحرارة	٨٥ ٪	٦٥ ٪
اشعـاع	١٥ ٪	٣٥ ٪

ان الاختلاطات هي أكبر بكثير مما يبينه هذا الجدول لأن الاشعاعات المنتشرة (الفا ، بيتـا ، غاما ، نترونات ، نترونوسات) لها طبيعة مختلفة وأغلبها غير مؤذٍ ، أو يستطيع الهواء أو أية وقاية بسيطة ايقافها بسهولة ، وهذا يعطي أهمية خاصـة للاشعاعات النيترونية الاقل قابلية للامتصاص من اشعاعات الاسلحة الاندماجية •

وتبعا لحسابات جان باتيست مارجريد (المجلة الاستراتيجية ، الربع الثـالث عام ١٩٧٨) نستنتج ما يلي :

- يحرر السلاح الاندماجي من النيوترونات عشرة أضعاف ما يحرره سـلاح انشطاري له نفس القدرة الاجمالية •
- اذا أخذنا بعين الاعتبار نسبة القدرة النيوترونية في كل حالة ، نجد أنقدرة النيوترونات أشد بسبعين مرة •

وبشكل عام نستطيع اعتبار أن سلاحاً نيوترونياً (انشطار + اندماج) قوته واحد كيلو طن يرسل اشعاعات تعادل اشعاعات سلاح انشطاري قوته ١٠ كيلو طن•

تخفيف الاشعاع النيوتروني :

تتناقص شدة الاشعاع في الفراغ تبعاً للمسافة ($1 = D^2$) لانتشاره عبر كرة ذات مساحة متزايدة •

وفي حالة الانتشار في الهواء أو أي مادة أخرى تضاف عدة ظـواهر ماصـة للقدرة ، فالنترونات ، وهي جزئيات غير مشحونة ، لا تحدث أي تداخل من المـادة التي تجتازها ، ولا تفقد قدرتها الا اذا اصطدمت مباشرة مع النواة •

ففي الهواء يكون التخفيف مهماً اذ يقسّم بشكل عام على اثنين لكل ١٠٠ م•

أما اذا دخلت السيالة (Flux) النيوترونية الى مادة كثافتها أكبر من كثافة الهواء فتكون الفرص لملاقاة نواة ، أكثر من الاول ، وليس من الضروري أن يكون التباطؤ شديداً لان ذلك يتعلق بكتلة النواة التي تصطدم بها السيالة (Flux) ، فاذا كانت كتلة النواة هذه ضعيفة امتصت الجزء الكبير من القدرة اما اذا كانت قويـة فان النيوترونات تقفز عليها ككرة البليأردو وتحتفظ بالقسم الاكبر من قدرتها •

ومن هنا نجد أن دروع الدبابات لا تخفف مـن قـدرة السيالة (Flux) النيوترونية بالقدر الذي تقوم به المواد الأخف كالماء والارض •

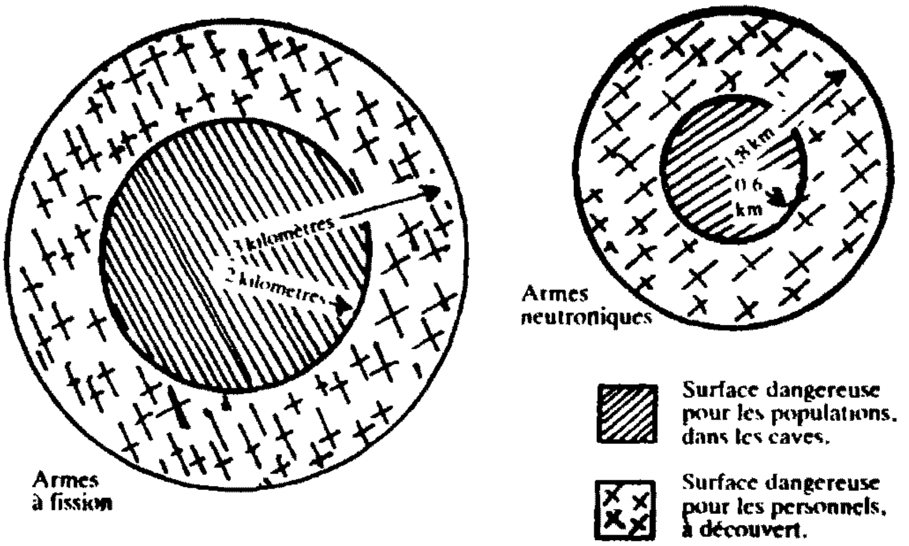
مقارنة بين تأثيرات الاسلحة الانشطارية والاسلحة النيوترونية :

كي تكون مقارتنا أسهل فلنتخذ سلاحين لهما نفس التأثير على الـدروع أي سـلاح انشطاري بقوة ١٠ كيلو طـن والمعادل للقوة الوسطية للاسلحـة النووية التكتيكية الموجودة حالياً على الساحة الاوروبية ، وسلاح نيوتروني بقوة واحـد كيلو طن والقريب من السلاح الذي يصنعه الاميركيون حاليـاً ، والذي يستطيـع الفرنسيون صنعه بكل سرعة •

تأثير هذين السلاحين متشابه ضمن قطر ١٠٠٠ متر ويبـين المخطط التـالي الأخطار التي تلحق بالاشخاص ملتجئين كانوا أم مكشوفين •

ويبين هذا المخطط ان المساحة الخطرة على السكان المدنيين الملتجئين في الاقبية لسلاح تقليدي هي آكبر بعشر مرات من المساحة الخطرة لسلاح نيوتروني •

وعلينا أن نوضح هنا ان هذا المخطط مطابق للارتفاع الاقصى اللازم لتدمير سدنة الدبابات (٣٠٠ م) ، أما اذا فجرت القنبلة على ارتفاع آكبر فلن يلحق بالاشخاص الملتجئين بالاقبية أي ضرر كان بينما يظل تأثيرها فعالاً على المهاجمين المكشوفين وضمن دائرة نصف قطرها ٢ كم •



ويتضح من ذلك انه بالامكان اطلاق سلاح نيوتروني فوق سمت مدينة دون حدوث أضرار كبيرة هذا اذا أبلغ السكان مسبقاً والتجؤوا •

ملحق ٢

النظام العسكري السويسري

I ـ مبادىء عامة :

١ ـ ليس لدى سويسرا أي قوات دائمة فكل مقاتليها من الاحتياطيين (رغم ان هذه التسمية لا تستخدم هناك لعدم وجود عسكريين دائمين يقارن بهم) ،وأغلب الرتباء من ضباط وضباط صف ليسوا محترفين ، أما الرتباء العاملون فمهمتهم تدريب الرتباء والمكلفين الشباب •

٢ ـ تشمل التعبئة في سويسرا كل الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠ و ٥٠ سنة وبذلك يتشكل لديها جيش قوامه ٦٥٠٠٠٠ رجل ، أي ما يعادل تعداد جيوش الدول المجاورة (فرنسا ، ألمانيا الاتحادية ، ايطاليا) •

٣ ـ تشمل الخدمة الالزامية فترة تدريب (٤ أشهر) ثم تتولى طيلة مدة الاحتياط مع دعوات متكررة للالتحاق بالوحدات المعينين بها •

٤ ـ لا تجري تنقلات للافراد بين الوحدات المقاتلة ، اذ يجد السويسري دوماً نفس الرؤساء ونفس الرفاق وينفذ نفس المهمات ، ولا يتبدل سوى العتاد حسب تقدم التقنية •

٥ ـ تتألف الكتائب والافواج من رجال من محافظة واحدة يتكلمون نفس اللغة •

٦ ـ يتلقى العسكريون تعويضاً مالياً مقابل خدمتهم وتعويضاً عن راتبهم كمدنيين ، وهذه التعويضات مستقلة عن الرتبة وتدفع من صندوق يموله أرباب العمل والمستخدمون (بما فيهم الاجانب) •

٧ ـ لا يترتب على النساء واجبات عسكرية ولكن اذا رغبن فيمكنهن الالتحاق بالخدمة النسائية •

II ـ أنواع المقاتلين :

١ ـ النخبة (L'élite) :

تؤخذ من المقاتلين الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠ و ٣٢ سنة ويعينون أساساً في فرق المشاة ، والفرق الآلية ، والفرق الجبلية ، والدفاع الجوي •

٢ ـ لاند ويهر (La Land wehr) :

وتؤخذ عناصرها ممن تتراوح أعمارهم بين ٣٢ ـ ٤٢ سنة ويعينون عادة في ألوية الحدود ، وألوية الحصون ، وألوية المحارز (والمحرز هو قطاع محصن في داخل البلاد) •

٣ ـ لاند ستورم (La Land strum) :

وتؤخذ عناصره من الذين تتراوح أعمارهم بين ٤٢ ـ ٥٠ سنة ويعينون في الوحدات الادارية ووحدات المراقبة •

III ـ الدعوات والتدريب :

١ ـ الدعوات :

يدعى الشباب في سويسرا عندما يبلغون سن ١٩ سنة لاجراء الفحوص الطبية والرياضة والتي تحدد أهليتهم للخدمة • ويتم تعيينهم كجنود دبابات أو جنود اشارة أو سائقي شاحنات وذلك بموجب عوامل ثلاثة هي رغبتهم وامكانياتهم واحتياجات الجيش •

٨٠ ٪ من المكلفين وسطياً هم أهل للخدمة و ١٠ ٪ أهل للخدمة التكميلية ، ويبقى ١٠ ٪ غير أهل للخدمة (يدفع هؤلاء سنوياً ضريبة كتعويض عن عدم قيامهم بالخدمة) •

٢ ــ التدريب :

يدعى المكلفون عند بلوغهم سن العشرين الى دورة مدتها أربعة أشهر في « مدرسة المجندين » .

المدربون في هذه المدارس هم من الضباط وضباط الصف غير المحترفين الذين يؤدون فترة خدمتهم القيادية ، أما ادارة التدريب فتعهد الى عسكريين محترفين يعبأون أثناء الحرب في وحدات مقاتلة كغيرهم من « المدنيين » .

مدة التدريب الاساسي في هذه المدارس هو ستة أسابيع ويتم اما في الثكنة أو قربها مباشرة ، وتكرس الاسابيع الستة الاخيرة للرمي والمناورات التي تجري في الطبيعة وفي هذه الحالة يقطن الجنود عند السكان أو في خيم منصوبة .

٣ ــ ويتبع الجنود المرشحون ليكونوا صف ضباط دورة تأهيل خاصة مدتها شهر واحد ، يخدمون بعدها فترة جديدة في مدارس المجندين « ليسددوا ثمن رتبهم » في تدريب مجموعة من المجندين .

٤ ــ ويتبع صف الضباط المرشحون ليصبحوا ضباطاً دورة مدتها أربعة أشهر في مدرسة الضباط ، ثم يقضون فترة ثالثة في مدارس المجندين كقادة فصائل أما الضباط المدربون في مدارس الضباط فهم من العاملين .

٥ ــ لا تعفي مدارس التدريب هذه من الخدمة السنوية في وحداتهم الاصلية .

IV خدمة « العسكريين » :

١ ــ التواتر والمدة :

بعد فترة الاربعة أشهر من التدريب في مدارس المجندين يدعى عسكريو النخبة سنوياً لمدة ثلاثة أسابيع ، وعسكريو اللاندويهر لمدة ثلاثة عشر يوماً كل سنتين ، وعسكريو اللاندستورم لمدة اسبوعين كل أربع سنوات .

٢ ــ في تشرين الثاني من كل عام يبلغ جميع السويسريين بواسطة اعلانات

ملصقة عن تواريخ دعوتهم الى مختلف الوحدات ، وتجري الدعوات إما لأفـواج أو لفرق كاملة وتكون الدعوات الى الافواج في كل سنة بتواريخ مختلفة •

٣ ـ النشاطات الاختيارية :

يشارك عشرات الآلاف من السويسريين كل سنة بنشاطات عسكرية مختلفـة وبناء على رغبتهم ودون مقابـل كالتدريب عـلى الرمي ، والمسـير ، والمسابقات الرياضيـة •

V التعبئـة :

يدعى العسكريون بواسطة الاذاعة أو بواسطة اعـلانات تلصـق في مكاتب المناطق والمحافظات ، ويمكن أن تشمل الدعوة ، تبعاً للحاجة ، أما بضع ألويـة أو فرق أو كامل الجيش السويسري •

وبفضل التجنيد المحلي ، يكفي بضع ساعات لتشكيل هذه الوحدات ، فكل شخص يعرف لمن سيقدم نفسه للالتحاق بسريته ، وكـل مدعو يأتي مع تجهيزاتـه وسلاحه الفردي وطعام يكفي لمدة يومين •

أما عتاد السرايا فيقوم على صيانته أشخاص مدنيـون ويوضع هذا العتـاد بمستودعات موزعة على كامل الاراضي السويسرية ، وقد دربت عناصر « مفرزة العتاد » على استلام العتاد والسلاح والذخـيرة بسرعة ، أما أصحاب الشاحنـات المدنية المصادرة فيعرفون سلفاً المكان الذي ستستقبل فيه شاحناتهـم عند النفـير العـام •

وقد حسب التموين على أساس حرب طويلة وخصص لكل مواطن طن واحد وتخزن المواد التموينية في مستودعات تحت الأرض •

VI الدفـاع المـدني :

يساهم الدفاع المدني الى جانب الدفاع العسكري بالدفاع العام •
ويتضمن الدفـاع المـدني :

- حماية المدنيين وهي مؤمنة على مستوى المحافظات وبموجب قانون اتحادي وبالامكان حماية ٩٠ ٪ من السكان في ملاجيء ذات نوعية جيدة .

- الدفاع الوطني الاقتصادي : يوجد دوماً مخزون من المواد الاستهلاكية (أغذية ، محروقات ...) يؤمن الاكتفاء الذاتي لسويسرا لمدة عام كامل في حالةالانقطاع الكلي للاستيراد .

- حماية النظام العام : تنفذ هذه المهمة على مستوى المحافظة وبواسطة قوى الشرطة التي قد تدعّم بعناصر من الجيش عند الضرورة .

- عدد كبير من الاقسام المسماة « تعاونيات » تتضمن وسائط مدنية وعسكرية، كالخدمات الصحية ، والبيطرية ، والنقل ، والاتصالات ، والوقاية الذرية والكيميائيــة .

VII تعـداد العناصر :

٧ ـ الافـراد :

- عسكريون مجندون : أكثر من ٦٠٠ ٠٠٠ أي ١٠ ٪ من تعداد السكان .

- عسكريون محترفون .

  - ضباط وضباط صف مدربون : ١٥٠٠
  - ضباط ومدنيون في مستوى ادارة الجيش : ١٥٠٠
  - أفراد مدنيون لصيانة العتاد والبنية الهيكلية : ١٠ ٠٠٠
  - أفراد غير قابلين للخدمة ومكلفين بمهمات مدنية : ١٠٠ ٠٠٠

٢ ـ عتــــاد :

- دبابات قتــال : ٧٨٠
- مدرعــات للنقل : ١٢٥٠
- مدفعيــة : ١٢٥٠

- هاونـــات : ٣٠٠٠
- مدافع مضادة للدبابات : ٢٠٠٠
- قواذف صاروخية مضادة للدبابات : ٨٠٠
- مدافع مضادة للطائرات : ٢٠٠٠
- طائرات قتـــال : ٢٥٠
- حوامـــات : ١٠٠
- آليـــات ذات محرك : ٨٣٠٠٠ (ثلثاها مصادر)

٣ ــ البنيـــة الهيكليـــة :

- ملاغم مجهزة على الطرق : ٢٠٠٠
- تحصينـــات : ٢٠٠٠
- حواجز مضادة لدبابات : ٤٠٠٠
- كهوف لتخزين الذخيرة : ٣٠ كم طول
- ملاجيء للعتـــاد : ٢٧٠٠

VIII نفقات سويسرا مقارنة بنفقات فرنســا :

تبلغ نفقات فرنسا وسويسرا على الدفاع ٤ ٪ و ٢ ٪ على التوالي من دخلهما الوطني الصافي ، ويستطيع الاتحاد السويسري بتعداد سكانه الذي يقل عن تعداد سكان فرنسا بثمانية مرات أن يجند للقتال نفس ما تجنده فرنسا •

بالطبع يجب أن نأخذ بعين الاعتبار عـــدم وجـــود نفقات للتسليح النـــووي وللبحرية في سويسرا ، ويجب ألا ننسى ان المؤسسات السويسرية تأخذ على عاتقها جزءاً من هذه النفقات ، ولكننا نستطيع أن نستنتج انه اذا أخـــذت فرنسا ببعض الأساليب السويسرية تستطيع تأمين جيش أكبر بثماني مرات من الجيش الحالي دون نفقـــات اضافيـــة •

الفهـــرس

تعريف بمؤلف الكتاب :

■ يعتبر الجنرال إتيين كوبيل (٤٨ عاما) واحدا من نخبة العسكريين الفرنسيين ، واصغر ضابط في الجيش الفرنسي يصل الى رتبة جنرال . شغل منصب نائب رئيس اركان سلاح الجو ومكلف بشعبة العمليات حتى تاريخ ١٩٨٤/٣/١٠ .

كان قادته وزملاؤه يتوقعون له مستقبلا مشرقا داخل المؤسسة العسكرية الفرنسية ، لكنه فاجأ الجميع ، ليس بتقديم استقالته من منصبه كنائب رئيس اركان سلاح الطيران في الجيش الفرنسي وحسب ، بل وباصدار كتاب (قهر الحرب) ضمنه آراء ونظريات وافكارا لاقت ردود فعل حادة في الاوساط العسكرية الفرنسية . الامر الذي حول الاستقالة والكتاب كليهما الى حدث بحيث ان مجلة ((الاكسبرس)) - ناهيك عن الصحف الاخرى - كرست له غلافا وعدة مقالات تولى فيها عدد من الجنرالات والكتاب العسكريين الرد عليه .

واذا كانت آراء المعلقين تختلف فيما على المذهب الذي اعرب عنه كوبيل ، الا ان ثمة إجماعا على نزاهة هذا العسكري واخلاقية تصرفه.